كسر القيود

بحث علمي استدلالي بأسلوب قصصي مشوق يتناول بالأدلة الشرعية نقد نظرية (التقليد) لغير الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، ويحاول الرجوع لطريقة أهل البيت (عليهم السلام) في التفقه وتعلم المعارف الدينية .

د. علي عبد الزهرة الفحام

هوية الكتاب

العنوان : .... كسر القيود

المؤلف: .... د علي عبد الزهرة الفحام

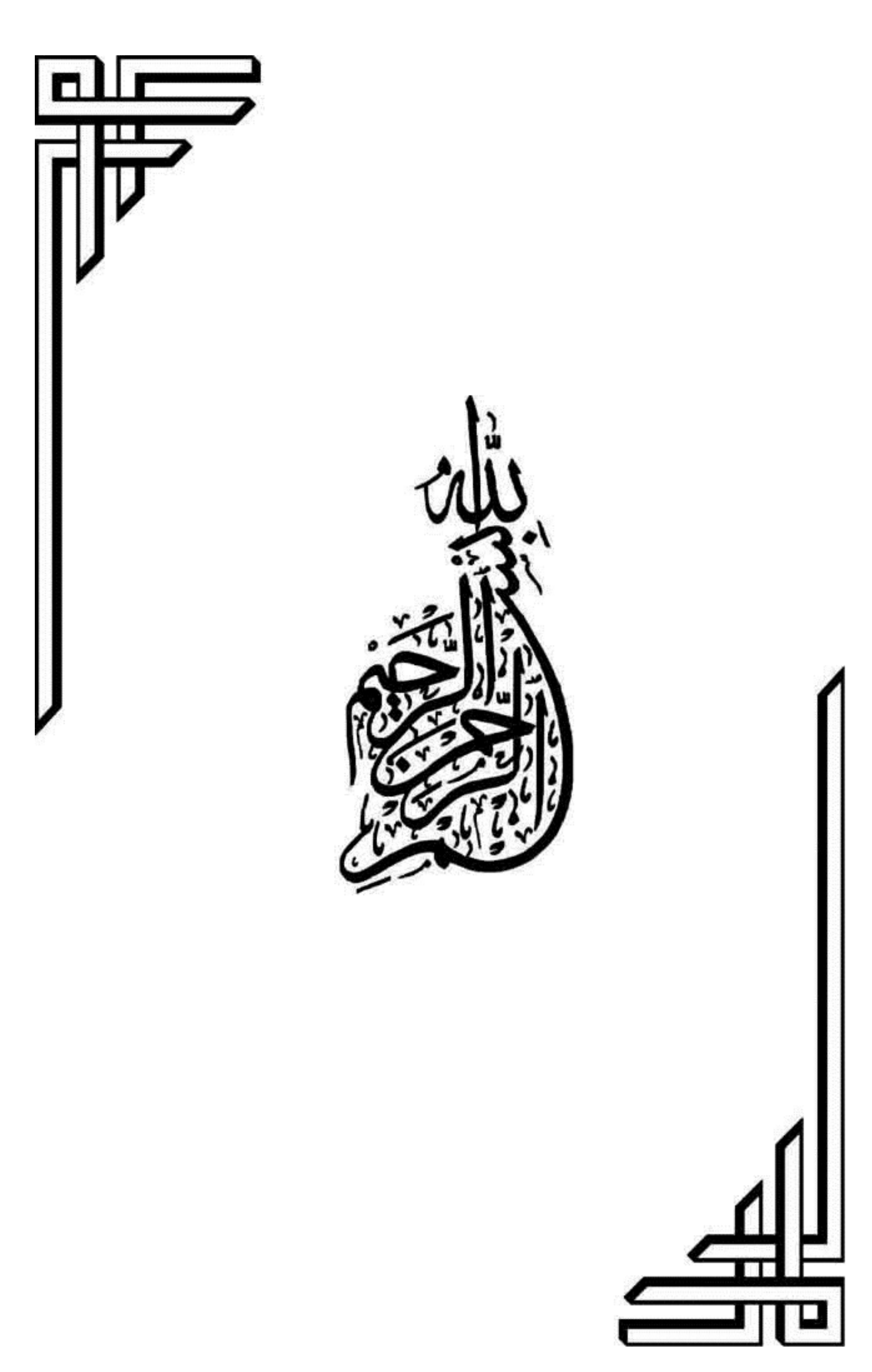
الطبعة: .... الأولى لسنة ٢٠١٦ ميلادية

عدد الصفحات : ....٢٢٠ صفحة

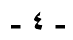
المطبعة...المهيمن - بغداد

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٥٦٦ لسنة ٢٠١٦



بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد :

فإن هذا الكتاب (كَسْرُ القُيُود) هو محاولة للعودة بشباب الشيعة والمثقفين من الأمة الشيعية إلى طريقة رواة الحديث، الطريقة التي أمر بها أهل البيت (عليهم السلام) وسار عليها سلفنا الصالح من أصحاب الأئمة ومَنْ جاء بعدهم من المُحَدِّثين الثقات الأجلاء كشيخنا ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، وشيخنا أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بـ"الشيخ الصدوق"، وشيخنا محمد بن جعفر بن قولويه القمي صاحب (كامل الزيارات)، وغيرهم من الثقات الأثبات، الذين لزموا طريقة الأئمة (عليهم السلام) فاخذوا بأقوالهم، والتزموا أحاديثهم، وتقيدوا برواياتهم، فلم يغيروا ولم يبدلوا، ولم يميلوا إلى قبائح المخالفين وضلالاتهم في الاجتهاد والعمل بالرأي والمقاييس، ملتزمين في ذلك بوصية الإمام الرضا (عليه السلام) لابراهيم ابن أبي محمود :

«**يا ابن أبي محمود إذا اخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه**» – عيون أخبار الرضا ٢٧٢١١ .

وقد ظل الشيعة ملتزمين بهذا المنهج في زمان حضور الأئمة (عليهم السلام)، وفي عهد الغيبة الصغرى التي بدأت سنة ٢٦٠ هـ

وانتهت في الخامس عشر من شهر شعبان ٣٢٩ هـ، إذ كانت البوصلة العامة منضبطة بخط الرواية، وكان الذوق الشيعي العام يرفض الجنوح إلى متاهات الاجتهاد والرأي والقياس، واشتهر الشيعة عند بقية الفرق والمذاهب بأنهم مُحَدِّثون لا يُعملون آراءهم في الإفتاء أو في تفسير القرآن أو حتى في الكلام، ولكن مع بزوغ فجر الغيبة الكبرى، وغيبة الإمام التامة، خلف على الأمة جيل جديد من الشيعة، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وصاروا عيالاً على المخالفين، فاصطبغت المدرسة الشيعية بصبغة الفرق الضالة، وتغلغل الرأي والقياس إلى المصنفات الشيعية، وتلون علم الكلام بلون المعتزلة، وانتهج المفسرون الشيعة منهج المخالفين في التفسير، وشيئاً فشيئاً بدأت الأمة الشيعية تنسلخ من هويتها، وقد أفسدتها السياسة والحكام أكثر مما أفسدها الرأي والاجتهاد .

لقد كان من نتائج هذا الانحراف أن استبدلنا تقليد المعصوم بتقليد الفقهاء، وصار سواد الشيعة من العوام المقلدين، وانفصلت الحالة الشيعية عن كلام الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وبدلاً من الإفتاء بالرواية وروحية النص الشريف، صار الإفتاء بكلام الفقيه الجامد على مصطلحات جديدة وكلمات غريبة عن حديث أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وأضحى مراجع الشيعة – من الفقهاء والسياسيين – هم الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها، وهم الرموز التي يجب حفظها وصيانتها، كيف لا وقد تقمصوا مناصب الأئمة، وتلقبوا بألقابهم،

ومارسوا صلاحياتهم في القيام والقعود، وفي الإعطاء والمنع، فضلاً عن الحكم والإفتاء والتفسير .

إن الحالة الشيعية اليوم تشهد صحوة كبيرة في منظومتها المعرفية، وصار شباب الشيعة ومثقفوهم أكثر وعياً بما وصلنا إليه من مزالق الانحراف في الفكر والسلوك، وانفجرت تراكمات الحقب السالفة لتفتح وجدان الأمة على تبصرة عيوبها، فانطلقت عملية التصحيح الواعدة، وصار الشيعة المحدثون تياراً متنامياً أعاد الروح والنبض إلى قلب التشيع، على الرغم من ضعف الإمكانيات، وكثرة التحديات، وقوة الحوزة الشيعية في بعدها المادي والبشري والإعلامي، إلا أن المستقبل يبشر بخير مع استمرار انسلاخ الشيعة عن المؤسسة الدينية الرسمية ورجوعهم إلى أحضان التشيع الأصيل .

لقد جاء كتاب (كسر القيود) كجزء من آليات التصحيح المعرفي، وهو بحث علمي استدلالي، كتبته بأسلوب قصصي يدفع القارئ إلى تتبع مسير الأحداث إلى نهايتها، في رحلة ممتعة، تحفل بالمعلومات المفيدة، والحقائق الصادمة، مع محاولة لضخ أكبر قدر ممكن من النصوص الروائية من أجل ربط القارئ مع العصر الذهبي للتشيع، وهو عصر الشيعة المحدثين من أصحاب أهل البيت (عليهم السلام) .

إن إشكالات مدرسة المحدثين على المدرسة الأصولية أكبر من أن يستوعبها هذا الكتاب؛ فالنقاش يبدأ من عملية استنباط الأحكام الشرعية التي خرجت عن حدود الرواية الشريفة إلى منابع جديدة مستوردة من

أدبيات المذاهب الأخرى، ودخل ما يسمى (علم الأصول) ليحل بديلاً عن الأصول الروائية أو متحكماً بها في كثير من الأحيان، وصار ما يسمى (علم الرجال) جزء أساساً من آلية نقد الروايات بعد أن كانت القرائن والتمحيص المتني هي الحاكمة في عملية النقد، وتلونت التفاسير الشيعية بلون تفاسير أهل الخلاف حتى إنه ليصعب أحياناً الفرز بينهما لشدة التشابه في الآراء والمناهج التفسيرية المتبعة، وقد أسهم هذا الانحراف في آليات الاستنباط والنقد الروائي والمنهج التفسيري في إنتاج معالم المدرسة الأصولية المعاصرة، وما صدر عنها من النظريات الفقهية والعقدية التي انعكست اليوم في منظومة السلوك المجتمعي، وفي المواقف الاستراتيجية لمؤسسة الدينية ، وهي الراعي الرسمي للحالة الشيعية في عالمنا المعاصر .

تنطلق فكرة الكتاب من قصة حقيقية جرت مع أحد الأخوة ممن كانوا ينتمون إلى المدرسة الشيعية الأصولية، إذ تشاء الصدف أن يلتقي بأحد المحدثين أثناء دراسته للماجستير، وتدور بينهما حوارات ونقاشات عميقة وطويلة، تنتهي باقتناعه بفساد الخط الأصولي المهيمن على الحالة الشيعية، ورجوعه إلى منهج المحدثين الذي رأى فيه الممثل الشرعي والوحيد لمنهج أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وبالتأكيد فإن الحوارات وبعض الشخصيات الواردة في القصة ليست حقيقية، وإنما فرضتها أجواء الدراما والحبكة القصصية التي تهدف إلى جذب القارئ نحو أحداث القصة وما يطرح فيها من نصوص ومعلومات .

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت في طرح هذه المسألة الشائكة والحساسة، على ما في هذا الطرح من جرأة ومخاطر أحياناً، مستميحاً القارئ الكريم أن يعذرني في مواطن الزلل والتقصير، وأن يصوّب ما يرد في هذا البحث من معلومات أو أفكار خاطئة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

علي عبد الزهرة الفحام

الكوفة المقدسة – بجوار مسجد السهلة المعظم

السادس من شهر رمضان المبارك ١٤٣٧ هـ .

المرحلة الأولى : من الغفلة إلى الصدمة

إنه اليوم الأول من دراستي للماجستير، استيقظت فجراً على وقع تكبيرات المؤذن في المسجد القريب من بيتنا، نهضت لأداء صلاتي وما بعدها من التعقيبات والدعاء، كان من عادتي أن أقرأ شيئاً من القرآن بعد صلاة الفجر، أفتح سورة معينة وأقرأ بضع آيات، قد تطول قراءتي وقد تقصر، ربما بحسب اقبال قلبي، وخشوع جوارحي .

في هذا اليوم بدت قراءتي للقرآن مختلفة نوعاً ما، فقد قررتُ أن أفتح المصحف الشريف دون تحديد سورة بعينها، وأن أقرأ حتى ولو آيتين مهما كان موقعهما من السورة، أو موضوعهما، أمسكتُ المصحف وقبلته، وبدأتُ بالاستعاذة من الشيطان الرجيم ثم البسملة ، فتحته على عجل ونظرت إلى الصفحة اليسرى ، وقرأت قوله تعالى : {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } الزمر١٧–١٨، أغلقت المصحف باحترام ، وأنا أقول : صدق الله مولانا العلي العظيم، ورسوله الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، ما أحلى أن يفتتح المرؤ يومه ببشرى من كتاب الله العزيز، ودارت بيني وبين نفسي لحظة صمت وتأمل، ربما محاولة مني لإيجاد عُلقة بين موضوعة هذه الآيات وبين يومي المرتقب ، ولم تنقطع سلسلة

أفكاري إلا على صوت أمي وهي تدعوني لتناول الإفطار : «يمة بسام، الرُّيُوك جاهز» بحسب اللهجة العراقية النجفية .

نزلت من غرفتي، فوجدت والدتي مع أخي الصغير (محمد) ينتظرانني على المائدة، سلمت عليهما وجلست إلى جانب أخي، تناولت إفطاري بسرعة، ورجعت إلى غرفتي لارتداء ملابس الجامعة استعداداً للذهاب، كان عليَّ أن أذهب مبكراً لتنسيق الجدول الدراسي، واللقاء مع زملاء جُدُد في مرحلة جديدة من مراحل دراستي الأكاديمية، سلمت على والدتي فردت عليَّ بدعائها الجميل الذي أسمعه منها كل يوم: «الله وياك ابني، الله ينوّر طريقك إن شاء الله» .

خرجت من البيت باتجاه الجامعة، كان اليوم مشمساً، والجو معتدلاً، وكأنَّ حماسة الدراسة قد التقت مع حماسة يوم مفعم بالحياة، لم ينطق لساني بكلمة واحدة في أثناء مسيري من بيتي إلى الجامعة، ولكن فكري لم يعرف الصمت، فأنا أفكر في هذا الاستحقاق القادم، واحاول أن أرتب الأولويات في تنظيم وقتي، وتوزيع مجهودي، فلستُ أقبل بدرجة دون التفوق في الدراسة، كما لست أريد من دراستي أن تشغلني عن عبادتي وواجباتي الدينية والاجتماعية .

وصلت إلى الجامعة، وما إن دخلت البناية حتى انهالت علي سيول التهاني والتبريكات بمناسبة القبول في دراسة الماجستير، استقبلني أحد الاساتذة قائلاً : «مبارك عليك يا بسام، زملاؤك بانتظارك في قاعة الدراسات العليا، ستبدأ المحاضرة الأولى بعد قليل»، أسرعت خطواتي

نحو القاعة، وبدأت دقات قلبي بالازدياد كلما اقتربت من باب القاعة، دخلت بسرعة ولكن مع شيء من الوقار والاتزان، لم يكن بين المقبولين من زملائي إلا رجل واحد، والباقي نساء، لمحت صديقي الوحيد وهو يجلس في الصف الأول من القاعة، مطرقاً برأسه إلى الأسفل، وكأنه كان يترقب وصولي، فقد اوحشته غربته بين هؤلاء النسوة !

دنوت من زميلي (علي) وسلمت عليه، وما إن شعر بوجودي حتى قام إلي والابتسامة تعلو وجهه ، رد السلام بأحسن منه ثم قال :

– مرحباً أخي، سررت لرؤيتك .

■ مرحباً بك، أعتذر إن كنت تأخرت .

هز رأسه مع ابتسامة جديدة قائلاً :

– أبداً، نحن جئنا مبكراً هذا اليوم، نريد أن نبدأ نهارنا بمزيد من النشاط، عندما تبدأ قوياً ستستمر هكذا إن شاء الله .

كان اليوم الأول – كما قال زميلي علي– مفعماً بالنشاط، مرت ساعات المحاضرات سريعة، ربما لم نشعر معها بالتعب والخمول، كنت سعيداً في هذا اليوم لأمرين، أولهما إن هذا اليوم هو الخطوة الأولى في طريق تحقيق حلمي بالنجاح ونيل شهادة الماجستير، وثانيهما لأنني تعرفت على صديق جديد، أعجبتني أخلاقه، وعلمه، وتواضعه، لقد كان متميزاً عن كل شخص عرفته في الجامعة، والذي لفت نظري في كلامه أنه كان يحفظ الكثير من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ويستشهد

بها في حديثه، وكان إلى جنب ذلك متمكناً من دراسته الأكاديمية ، سليم اللغة ، حاضر البديهة ، طريف الفكاهة

عدت إلى البيت فوجدت "والدي" يجلس على الأريكة ، وفي يديه جوازات سفر، سلمت عليه وجلست إلى جنبه، نظر إليّ من وراء "نظارته" الكبيرة، وقال : «ساعدك الله يا بني، اذهب وتناول غداءك وخذ قسطاً من الراحة؛ فإن عليك أن تذهب معي عصر هذا اليوم إلى وكيل المرجع لإجراء مصالحة بشأن خُمس أموالي، فإن جوازات سفرنا للذهاب إلى الحج قد اكتملت أنا وأمك وعمتك، وعلي إفراغ ذمتي مما علق بأموالي من الخمس، حتى أذهب إلى الحج وليس لله تعالى دين أو حق في رقبتي»، كنت معدوداً في جملة الأولاد الذين يعتمد عليهم أبي في أمور الفقه وأحكام الشريعة، فلقد اعتدت على ارتياد المسجد، والالتزام بصلاة الجماعة، وحضور مجالس العزاء، ومحاضرات الوعظ والإرشاد، فضلاً عن اتصالي بعدد من أساتذة وطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، مما وفر لي رصيداً معرفياً جعلني محل اعتماد أهلي في مثل هذه المسائل .

خرجت مع أبي عصراً متوجهَين إلى مكتب المرجع الذي نقلده، وكنا على موعد مع أحد الوكلاء، ما إن دخلنا حتى انحنى أبي على يد الوكيل ليقبلها، أما أنا فصافحته، ولم أقبل يده، فلم تكن ظاهرة تقبيل الأيادي تستهويني كثيراً، وكنت أعتبرها موروثاً سيئاً لا يجب عليّ أن ألتزم به، جلسنا إلى جنب الشيخ الوكيل وبعد شيء من السلام

والمجاملات نظر الوكيل إلى أبي قائلاً : «هل أنت مستعد لإجراء صيغة المصالحة يا حاج» أجاب والدي : «نعم شيخنا، جاهز» ، قال الشيخ : «طيب ، إذا أكملتُ كلامي قل أنت : قبلتُ المصالحة» ، قال والدي :«إن شاء الله شيخنا»، فنطق الشيخ بصيغة المصالحة قائلاً لأبي : «صالحتُك على الخمس، على أن تدفع مليون دينار عوضاً عما في ذمتك من الخمس في أموالك» ، فأجابه والدي : «قبلتُ المصالحة» .

هكذا تمت المصالحة، وقام والدي بتسليم الوكيل مبلغ مليون دينار، وهو ما يتعلق بذمته من الخُمس ، وتسلم من الوكيل وصلاً مختوماً بختم المرجع الأعلى، وبعد الانتهاء من المصالحة قبّل والدي يد الشيخ مرة أخرى، تبادلنا التحايا والمجاملات، وخرجنا من عنده، والابتسامة تعلو وجه والدي مشوبة بفرح شديد ؛ لأن الشيخ قال له إن حجه لن يكون مقبولاً دون حصول هذه المصالحة ؛ بقينا سوية ندور في السوق وبين الأقارب لاستكمال إجراءات واستعدادات الذهاب للحج، وما إن عدت إلى البيت في ساعة متأخرة حتى غلبني النوم، ولم استيقظ إلا على أذان الفجر كعادتي .

قررت في اليوم التالي أن أذهب إلى الجامعة مبكراً حتى أحقق حالة النشاط الصباحي الذي تحدث عنه زميلي (علي)، وما إن وصلت الكلية حتى ذهبت بشكل مباشر إلى قاعة المحاضرات، وجدت الأخ (علي) جالساً يطالع ما كتبه من محاضرات يوم أمس، سلّمتُ عليه

وجلستُ إلى جنبه وكنت مرهقاً جداً بسبب جولتي بالأمس مع أبي إلى وقت متأخر من الليل ، سألني زميلي مبادراً :

- يبدو عليك التعب الشديد يا أخي .

■ نعم، فبالأمس كانت عندي جولة بين مكتب المرجعية، وبين السوق والأقارب، ولم أرجع للبيت إلا قريب منتصف الليل، كانت جولة متعبة حقاً !

- وماذا كنت تفعل في مكتب المرجعية؟

■ ذهبت مع والدي لإجراء المصالحة .

- مصالحة مَع مَنْ؟

■ مع وكيل المرجع .

- خير إن شاء الله، لماذا يتصالح والدك مع وكيل المرجع؟! .

■ أخي علي، «المصالحة هي ان تتصالح مع المرجع أو وكيله في تحديد كمية المبلغ الذي يجب فيه الخمس فيما اذا لم يكن مقداره معلوماً فحينئذ يتعين مقدار الخمس وتجري المصالحة عليه لتبرأ ذمتك امام الله سبحانه وتعالى»[1] ، إن والدي لم يكن يخمس أمواله مدة من الزمن، وهو اليوم على أبواب الذهاب للحج، وقد أخبره الوكيل المعتمد عند المرجعية – حرسها الله – أن حجه لن يكون مقبولاً إذا لم تجرِ مصالحة بين والدي وبين مرجعه أو من يقوم مقامه – وهو الوكيل-

---

[1] الموقع الرسمي لمكتب السيد السيستاني – رقم الاستفتاء ١١٦ ، تاريخ الاقتباس ٢٠١٤/١١/٢١ ، رابط الصفحة :
http://www.sistani.org/arabic/qa/0462/page/12/#8881

بحيث يحدد الوكيل كمية المبلغ الذي يقوم مقام الخمس غير المعلوم الذي بقي في ذمة والدي.

- هراء، ما أجرأهم على التلاعب بدين الله تعالى !

■ ماذا تقصد بالهراء؟

- هذه المصالحة التي جرت بين والدك وبين وكيل المرجع، بأي وجه حق يقوم الوكيل بتحديد مبلغ غير معلوم؟ وبأي دليل شرعي تجوز هذه المصالحة؟ فإن كان المبلغ الذي في ذمة والدك واجب الدفع فلا يملك الوكيل حق إسقاطه، أما إن لم يكن واجب الدفع فلا يملك الوكيل حق أخذ فلس واحد منه !

■ أخي علي، إن هذا الشيخ وكيل معتمد عند المرجع ، وقد جرت المصالحة في مكتب المرجع نفسه ، فالقضية موثوق بها حتماً .

- حتى ولو أجرى المرجع نفسه تلك المصالحة ، فالموقف هو الموقف ، هذا الأمر باطل من أساسه ، ولا يملك المرجع موقعاً اعتبارياً يؤهله لفعل شيء من ذلك .

جاءت كلمات صديقي (علي) كالصاعقة على أم رأسي ! ؛ فهذه هي المرة الأولى في حياتي التي أسمع فيها رجلاً ، مثقفاً، محترماً، يوجه انتقاداً ، لاذعاً ، مباشراً للمرجعية الدينية التي تمثل السلطة الدينية العليا عندنا، ومحور القداسة والتبجيل للمذهب الشيعي في موروثنا المجتمعي، والأدهى أن سهام النقد توجهت نحو الأساس الشرعي لواحدة من الممارسات التي تأخذ شرعيتها من فتوى المرجع ! وبلغ من قوة

التصويب أنه وصل إلى المرجع نفسه ، اتهام له بالتلاعب والافتراء على الله تعالى ! تمالكت نفسي قليلاً، وحاولت أن أرد هذا التطاول المفاجئ بشيء من الحكمة الممزوجة بالحزم والاتزان، أدرت وجهي نحو صديقي (علي) وقلت له :

■ المرجعية أدرى بالأصل الشرعي لما تقوم به من مهام وممارسات، نحن (العوام) لا شأن لنا بالأدلة الشرعية، فنحن لا نفقه شيئاً منها ، فعلامَ يا أخي تقتحم أمراً يصعب عليك خوض غماره ، فعندنا نحن أتباع المرجعية مثل معروف يقول (حطها برقبة عالم واطلع منها سالم) !

– هل المرجعية معصومة؟

■ كلا ، لا عصمة إلا لأهل العصمة ، وهم أهل البيت (عليهم السلام) .

– إذن ما أدراك أنك ستخرج سالماً ؟؟!! هل من العقل أن تتبع غير المعصوم دون وعي وتمحيص، ثم تعتقد بجزم ويقين أنه لن يخطأ أبداً ، ولن تزل له قدم أبداً ! وأنك ستسير خلفه دون ان تزل لك قدم ، وتصل سالماً إلى مرفأ الحق والحقيقة !

■ نحن باتباعنا للمرجعية إنما نطيع أمر مولانا الحجة (عجل الله فرجه) ، ووصيته الخالدة بلزوم تقليد الفقهاء العدول، فلن تزل لنا قدم إن شاء الله تعالى ، فهو (عليه السلام) أدرى بأمر صلاحنا وفسادنا ، وحاشا أن يدعنا بأيدٍ غير أمينة .

– أين ورد أن الإمام المهدي (عليه السلام) أمر بلزوم تقليد الفقهاء العدول ؟!

■ في التوقيع الشريف : (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مطيعاً لأمر مولاه فعلى العوام أن يقلدوه)

كان صديقي (علي) أثناء تلاوتي للحديث يبتسم – وهو مطرق إلى الأرض– ابتسامة تجمع معاني التعجب والشفقة ! تركني أكمل الحديث ثم رفع رأسه نحوي، وقال :

– أنا لا ألومك على جهلك بحديث أهل البيت (عليهم السلام) ؛ فالبيئة التي نشأتَ بها، ومصادر المعرفة التي تستقي منها معارفك، تمنع الذين أسميتهم أنت بـ(العوام) من تعلم حديث أهل البيت (عليهم السلام) ، فأنتم تستقبلون معلومات جاهزة ، مقولبة ، موجهة ، لا تميزون سقيمها من صحيحها ! فالحديث الذي ذكرته أنت ليس للإمام المهدي (عليه السلام) ، وهو ليس توقيعاً كما تقول ، ونص الحديث ليس كما قلتَه وأوردتَه[1] ، والأهم من ذلك أن علماءك ومراجعك أنفسهم يحكمون على هذا الحديث بالضعف، وجهالة المصدر، ويسقطونه عن الحجية !

■ مستحيل ، هذا الحديث موجود في أدبيات الشيعة اليوم ، في الكتب ، في الصحف ووسائل الإعلام ، على الجدران وعلى صفحات

---

[1] يشيع بين العوام وكثير من المعممين أن يقرؤوا الحديث هكذا : (فعلى العوام أن يقلدوه) والنص الصحيح : (فللعوام أن يقلدوه) .

الانترنت ، هذا الحديث مشهور جداً ، ولا يمكنك التشكيك بالأحاديث المشهورة .

– أخي، لستُ ممن يحب الجدال دون تقديم الأدلة والبراهين ، ودون فائدة تُرجى من بيان الحق وكشف زيف الباطل ، فإن كان جنابكم يريد الجدال والمراء فلا كلام لي معك ونبقى أصدقاء دراسة وينتهي الأمر ، وإن كنت طالباً للحق ، مستعداً لسماع الأدلة ، فأنا بالخدمة ، بعد انتهاء محاضرات اليوم ، إن أحببت في الكلية أو بعد الدوام الرسمي ، نلتقي وآتيك بالنصوص من المصادر ، وأريك ما وقعتم فيه من الشبهات وكيف أثّر الابتعاد عن حديث العترة الطاهرة في تردي الوعي والحصانة الفكرية للحالة الشيعية بشكل عام، وما حجم الانحراف الذي اوقعتكم فيه المرجعية والمدرسة "الأصولية" التي تنتمي إليها .

■ إن شاء الله تعالى ، أنا مستعد لسماعك حتى النفس الأخير ، فلست ممن يعبد الله تعالى بالعمى والضلال ، ولكني متأكد أني سأنتصر في نهاية المطاف ، وسأنجح في إعادتك إلى حضن التشيع الأصيل .

– التشيع الأصيل هو التشيع الذي كان عليه قدماء أصحابنا المحدثين ، التشيع الذي لم يتلوث بضلالات أهل الخلاف وانحرافاتهم ، التشيع الذي لم يسلب أهل البيت (عليهم السلام) مقامهم ، ولم يتقمص منصبهم، ولا انتحل شخصياتهم وألقابهم، وأنا على يقين أن بذرة الصلاح الموجودة فيك ستنمو وتتجذر أكثر إذا أشرقت على ربوع قلبك شمس

العلم والعقل والهدى، وستكون مصداقاً لقول الله تعالى : {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } الزمر ١٧-١٨ .

انتهى المقطع الأول من نقاشنا مع مجيء الاستاذ لإلقاء المحاضرة الأولى، مرت ساعات المحاضرات لهذا اليوم ثقيلة وقاسية، كان فكري يجول فيها بين فضاءات الحقيقة والخيال، أفكر في كل كلمة قالها لي صديقي (علي) ، ومع كل لحظة تفكير ، كان الصداع يستحكم في رأسي، وكنت بين الفينة والأخرى أضع يدي على رأسي من شدة الصداع ، حتى إن الاستاذ شعر بحالتي ، فقطع المحاضرة قائلاً : «يبدو عليك التعب والإرهاق يا بسام ، يمكنك الانصراف لو أحببت» ، شكرت الاستاذ وانصرفت في الحال عائداً إلى بيتي ، وما إن وصلت حتى أسرعت إلى غرفتي دون الكلام مع أي أحد في البيت .

لم تفارقني سحب الخيال منذ أن خرجت من الكلية وحتى عدت إلى المنزل ، كان الجو في مخيلتي ملبداً بغيوم سوداء قاتمة ، وكنت أحاول الهرب من سواد غيوم أفكاري بالنظر إلى أشعة الشمس عبر نافذتي المطلة على حديقة المنزل ، كانت مجموعة من الأسئلة تتردد على خاطري وتتكرر كأنها تدور في حلقة مغلقة : هل من الحكمة والعقل أن نتبع غير المعصوم دون نقد وتحميص؟ وهل صحيح أن عوام الشيعة مبتعدون عن حديث أهل البيت (عليهم السلام)؟ وهل صحيح أن هناك

انحرافات في المدرسة الأصولية التي ينتمي إليها مراجعنا؟ وما مقدار تلك الانحرافات؟ ولماذا لم يتصدَّ أحد لبيان تلك الانحرافات؟ وهل صحيح أن حديث (فللعوام أن يقلدوه) حديث ضعيف عند مراجعنا وعلمائنا؟ وإذا كان ضعيفاً فلماذا يصدّعون رؤوسنا بذكره على مسامعنا ليلاً ونهاراً؟ وما سر الصدفة في أن صديقي (علي) تلا عليَّ الآيتين الشريفتين من سورة الزمر ، وهي الآيات التي قرأتُها صباح أمس عندما فتحت القرآن الكريم عن طريق الصدفة ، {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } الزمر ١٧-١٨ .

أتعبتني الأسئلة كثيراً ، فقررت الخلود إلى النوم لعلي أستريح من دوامة الأفكار ، وصراع الأوهام ، ولعلي أستطيع بعدها أن أستجمع قواي ، وأرتب أفكاري ، وأستعيد زمام المبادرة ، فليس من الصواب أن استسلم لشبهة عابرة دون أن أواجهها بما لدي من رصيد معرفي كبير ، ولاسيما وأنا أعيش بين جنبات هذه الحوزة العلمية العريقة التي يبلغ عمرها ألف عام ، ولذا قررت بعد أن أستيقظ من النوم أن أسير في اتجاهات ثلاثة :

الأول : أن أقرأ كتب الفقه الاستدلالي بنفسي .

الثاني : أن استعين بأساتذة الحوزة العلمية لطرح شبهات صديقي (علي) وتفنيدها .

الثالث : أن أبعث بمجموعة استفتاءات إلى من أعتبرهم في ذلك الوقت حراس الدين والعقيدة ، مراجع التقليد في النجف الأشرف ، وأسألهم عن تفنيد مثل هذه الشبهات .

استيقظت من النوم بعد ساعتين تقريباً ، وشرعت بتنفيذ خطة الممانعة الثلاثية ! أرسلت عبر الانترنت استفتاءً إلى موقع أحد المراجع ضمنته خلاصة الشبهات التي كانت تدور في ذهني ، ومع قرب غروب الشمس أسرعت إلى المسجد القريب من بيتنا لألتقي بعض الأخوة والمشايخ من أساتذة وطلبة العلوم الدينية، والتقيت بأحد المقربين مني (الشيخ صلاح) وهو أحد المخلصين لحوزة النجف الأصولية، ومن المدافعين الشرسين عن المرجعية الدينية ، قلت له بعد السلام والسؤال عن الأحوال :

■ شيخ صلاح ، أحتاج مساعدتك ، أريد أن اشتري بعض كتب الحديث وكتب الفقه الاستدلالي؟

– وما شأنك بكتب الحديث؟ أنت متخصص في المجال العلمي ، ومثل هذه الكتب لن تنفعك في شيء .

■ لماذا لا تنفعني ؟ كتب الحديث تروي كلام أهل البيت (عليهم السلام) ، ومعرفة المكلف بكلامهم أمر مطلوب للاطلاع على علوم الدين وأحكام الشريعة ، كما إن مثل هذه الكتب ستكسبني حصانة أكبر في مواجهة الشبهات والحركات الفكرية المضادة للمشروع المرجعي .

– يا صديقي ، كتب الحديث فيها الصحيح والضعيف ، والغث والسمين ، والثابت والموضوع ، والخاص والعام ، فما أدراك أنت بمثل هذه الأمور ، إن عليك أن تدرس ثلاثين سنة في الحوزة العلمية قبل أن تكون قادراً على قراءة مثل هذه الكتب !

■ إذن كيف أواجه الشبهات ، عندي أحد الاصدقاء في الجامعة صعقني بمجموعة من الشبهات ، ووعدني بمفاجئات جديدة عن انحراف المرجعية والحوزة الدينية ، ولم أستطع الرد عليه بكلمة واحدة لأنني غير متسلح بالعلم الصحيح وبالمعرفة الكافية ، وأنا بصراحة لست ممن يريد أخذ دينه بالعمى والجهل وإنما بالعلم والهدى .

ما إن أتممتُ كلامي حتى رأيت عيون الشيخ صلاح قد انتفخت ، ورفع حواجبه وأدار وجهه باتجاهي ، ثم رمقني بنظرة غضب وقال : «إن صديقك هذا منحرف ، ضال ، إياك ثم إياك أن تتأثر بكلامه ، أنا أفضّل أن تقطع علاقتك به ، فمثل هؤلاء لا همَّ لهم سوى إثارة الشبهات ، والبحث عن تسقيط المراجع ، إنهم فئة تقتات على الفتنة ، والفتنة نائمة لعن الله من أوقظها ، إن الحوزة الدينية امتداد لحوزة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهؤلاء المراجع أفنوا أعمارهم في البحث والتحقيق ، هل تريد أن يأتي شخص مجهول الحال ، مجهول العلم ، لا ندري أين درس ، وكيف تعلم ، ثم يستشكل على حوزة النجف الأصيلة ، لا يا صديقي ، ابتعد عن مثل هذه الشبهات ، وحدثني عن أجواء الجامعة ودراستك الجديدة !» .

أراد الشيخ صلاح ان يسد عليّ باب البحث ومواجهة الشبهات ، لم أكن حينها مدركاً سبب هذا التخوف وإصراره على إبعادي عن حلبة المواجهة مع مثل هذه الإثارات ، ولكني لم استسلم لتهويلاته ، ولم اقتنع بتسطيح المسألة ، وبعد لحظة من الصمت ولمِّ الأفكار المشتتة أجبته بهدوء ويقين :

■ شيخ صلاح ، إذا كان هذا الشخص ضالاً كما تقول ، فليس من الحكمة أن نتركه يصول ويجول بأفكاره ، ويبث سمومه بين الناس ، وإن كان محقاً ، فالحق أولى بالاتباع ، وإذا كنتُ أنا غير مؤهل لمواجهته فأنتم أساتذة الحوزة قادرون بحمد الله تعالى على دفع أي شبهة ، ومواجهة الفكر بالفكر ، والدليل بالدليل ، فهل أنت مستعد للمناظرة معه وتفنيد ما جاء به من شبهات وأفكار ؟.

– انا لا أرجو خيراً من مناظرة هؤلاء ، إن الطريق الأمثل هو تجاهلهم ، فشبابنا متسلح بحب المرجعية وطاعتها ، ولن تتزعزع ثقته بمثل هذه الخزعبلات .

لم ينقطع حواري مع الشيخ صلاح إلا على صوت المؤذن ، قمنا فصلينا صلاة العشائين ، وما إن انتهينا من الصلاة والتعقيبات حتى رأيت الشيخ صلاة يبحث عني بين صفوف المصلين ، وما إن رمقني حتى ناداني : «بسّام ، تعال أرجوك ، سأفرغ نفسي يوم غد ساعتين للاستماع إليك وطرح ما عندك من شبهات وتساؤلات»، شكرتُه على

عجل ، واتفقت معه على تحديد الموعد ، ثم سلمتُ عليه وخرجتُ من المسجد باتجاه مكتبة بيع الكتب القريبة واقتنيت مجموعة من الكتب التي كنت قررت الاستعانة بها في عملية البحث عن الحقيقة الضائعة .

عدت إلى منزلي وأنا محمل بالكتب ، وعزمت على استغلال عطلة نهاية الاسبوع في يومَي الجمعة السبت ، للبدء بجدولة مشروع البحث العقائدي ، وإيجاد مقارنة بين الأدلة التي تقدمها المدرسة الأصولية (مدرسة المراجع) ، وبين ما سيقدمه صديقي (علي) من أدلة الإثبات والنقض ، وبدأت بتحديد أولويات البحث ، وتسجيل الملاحظات ، وتلخيص الأدلة من الكتب الأصولية ، وكتب الفقه الاستدلالية ، كما دونت مجموعة من الأسئلة لأقوم بطرحها يوم غد على الشيخ صلاح .

بداية البحث

جاء يوم الغد وكانت لهفة اللقاء بالشيخ صلاح تزداد كلما اقترب وقت العصر، كان عليَّ أن أكون ملماً بخيوط البحث ، مدركاً لطبيعة الشبهات وخلفيتها العلمية ، مستفيداً من الوقت ومن ملاحظاتي التي سجلتها ليلة أمس ، وما إن أزف الوقت ، لممت أوراقي المبعثرة ، وطويت الطريق بسرعة إلى بيت الشيخ الصلاح الذي لا يبعد عن بيتنا إلا قليلاً ، لا أعرف ما هو الاحساس الذي اعتراني وأنا أسير في ذلك الطريق حاملاً بعض كتبي وخلاصة أبحاثي السريعة، ربما هي المرة الاولى التي أشعر بها بوجودي في معادلة الفكر والعقيدة ، كان إحساساً

غريباً ، إلا أن الخروج ناجحاً من هذا الامتحان ظل هو الهاجس الأكبر الذي يسيطر على تفكيري في هذه المرحلة .

كان الشيخ صلاح بانتظاري في بيته ، ويبدو أنه أمضى وقتاً في التحضير والاستعداد لهذه الجلسة ؛ فقد كان يجمع على طاولته بعض الكتب التي تتحدث عن موضوعات التقليد والاجتهاد ومسائل علم الأصول ، الملفت للنظر أني لم أجد كتاباً حديثياً واحداً في جملة الكتب التي وضعها الشيخ على طاولة البحث والنقاش، جلست في قبالة الشيخ صلاح على الطاولة ، وبدأت الحوار بملاحظة منهجية ، قلت له :

■ أريد أن أبدأ من موضوعة التقليد، ثم ننتقل تباعاً إلى المواضيع الأخرى، وأرجو من جنابكم تأصيل الأدلة من الكتاب العزيز والسنة والشريفة .

– إن شاء الله ، التقليد أدلته واضحة ، ولا يحتاج إلى عناء كبير لإثباته !

■ كيف ؟ أرجو أن تفصّل القول فيه .

– تنقسم أدلة التقليد إلى : قرآنية ، وروائية ، وعقلية ، أما القرآنية فجملة من الآيات الشريفة ، منها :

١. قوله تعالى : {فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[1] .

٢. قوله تعالى : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[2] .

■ وماذا عن الأدلة الروائية؟ .

– أما الأدلة الروائية فهناك مجموعة من الروايات الواردة في رجوع الشيعة لأصحاب الأئمة لأخذ الفتوى ، وهناك جملة أخرى من الروايات الدالة على مفهوم التقليد ، منها :

١. ما خرج لإسحاق بن يعقوب من توقيع للإمام المهدي (عليه السلام) عن طريق السفير الثاني محمد بن عثمان العَمري : «**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم**»[3] .

٢. ما ورد في رواية عمر بن حنظلة : «**ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فليرضوا به حكماً ، فإني قد جعلته عليكم حاكماً**»[4] .

٣. ما ورد عن الإمام العسكري عن الصادق (عليه السلام) : «**فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه**»[5] .

---

١ التوبة : ١٢٢ .
٢ النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧ .
٣ كمال الدين للصدوق/ ج٢/ باب ٤٥/ ح٤.
٤ الكافي ١\٦٧ .
٥ الاحتجاج ٢\٢٦٣ .

■ وهل توجد أدلة عقلية على مشروعية التقليد؟ .

– بالتأكيد، الأدلة العقلية هي عمدة الأدلة ، وخير دليل عقلي هو قيام السيرة العقلائية على رجوع الجاهل إلى العالم ، وغير المتخصص إلى المتخصص ، وأشهر مثال على ذلك رجوع المريض إلى الطبيب ، والتزامه بأخذ الدواء وفق مشورته ، كذلك التقليد ، فهو التزام قول المكلف بقول المجتهد وفق ما يؤدي إليه رأيه وفتواه ، وأنا أنصحك أن تقرأ هذه الكتب التي ألفها علماء مشهورون في الطائفة ، فهي تضعك في تفاصيل ما أجملته لك من أدلة التقليد .

ناولني الشيخ مجموعة كتب تتحدث عن مواضيع الاجتهاد والتقليد وبعض الأبحاث المتعلقة بها ، منها كتاب (الاجتهاد والتقليد) للشيخ محمد مهدي شمس الدين ، وكتاب (الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته) للشيخ محمد مهدي الآصفي ، وكتاب (الاجتهاد وأصول الأحكام) للسيد محمد بحر العلوم ، وكتاب (أصول الفقه) للشيخ محمد رضا المظفر ، وكتاب (المعالم الجديدة للأصول) للسيد محمد باقر الصدر ، وبعض كتب الفقه الاستدلالي الأخرى .

خرجت من عند صديقي (الشيخ صلاح) وأنا أكثر اتزاناً وهدوءً من قبل ، فقد تسلحت بالأدلة اللازمة لمواجهة الشبهات والتحديات التي أطلقها زميل الدراسة (علي) ، رجعتُ إلى البيت وانشغلت بترتيب الكلام الذي قاله الشيخ صلاح ، وطالعت بعض الكتب التي أعطانيها فوجدته قد نقل الكلام والأدلة الموجودة في تلك الكتب ، ولم يأت بدليل إضافي

، أو زيادة على ما هو موجود فيها ، فعلمت أن هذه الآيات والروايات هي بالفعل أدلة التقليد عند المدرسة الأصولية، فضلاً عن دليل السيرة العقلائية الذي يعد عمدة الأدلة .

حاولت أن أتناسى أبحاث الاجتهاد والتقليد بعض الوقت ، ورجعت لمطالعة دروسي المنهجية الأكاديمية ، وقررت أن اليوم التالي سيكون يوم المواجهة مع الشبهات ، وقطع ألسنة المشككين بالمرجعية، وبداية الطريق نحو الدفاع عن عقيدتي "الصحيحة" في تقليد الفقيه "الجامع للشرائط" .

المواجهة الأولى ، ولكن ...

كان اليوم التالي هو يوم الأحد ، أول أيام الدوام الرسمي في الأسبوع ، وقد انخفضت درجة الحرارة بشكل مفاجئ ، وتساقط المطر بغزارة ، معلناً بدء فصل الشتاء القاسي ، تناولت إفطاري على عجل ، وارتديت ملابس الشتاء ، وخرجت من البيت مسرعاً باتجاه الشارع العام حيث تقف سيارات الباص التي تقلني إلى الكلية ، وصلت إلى الكلية مع زخات المطر المنهمرة، ودخلت قاعة الدرس مباشرة ، لم يكن صديقي (علي) قد وصل مبكراً كعادته ، جلست في القاعة بانتظار وصوله ، جاءت الطالبات كلهن ، ولم يكن (علي) قد وصل بعد ، وما هي إلا دقائق من الانتظار حتى جاء الزميل (علي) مرتدياً معطفاً طويلاً وممسكاً حقيبةً سوداءَ بيد ، ومظلةَ المطر باليد الأخرى ، سلم

على الجميع ، وجلس يفرك يديه من شدة البرد ، نظر إلي بابتسامة خفيفة وقال :

– وقعت سيارتنا في وحل من الطين ، ولم نستطع إخراجها إلا بشق الأنفس ، فقد كانت الإطارات منغمسة في مستنقع من طين ، وكان المطر الغزير يسقط علينا من فوقنا ، تبللت ملابسنا بفعل المطر ، واتسخت بسبب الوحل والطين ، الحمد لله على كل حال .

راودني هاجس في نفسي أن هذا الأمر دليل ثانٍ على بطلان شبهات هذا الإنسان ، فلو كان محقاً ما تعطلت سيارتهم في الطين ! ولما ظل في المطر برهة من الزمن ! وبالتأكيد سيصيبه الزكام بسبب المطر ! ضحكت مع نفسي قليلاً ، وقلت إن أدلة التقليد ستسقط على أم رأسه كالصاعقة ، فيا لها من صدفة عجيبة ، تسقط الصاعقة على رأسه مع سقوط المطر ! لم تنته هواجسي الساخرة حتى بادرني زميلي (علي) بالحديث قائلاً : «أنظر بسام ، هذا الكتاب عزيز على قلبي» ، وأخرج من حقيبته كتاباً أنيقاً مكتوباً على غلافه بخط ذهبي جميل (أصول الكافي) ، تأليف ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، فتح صفحة من الكتاب بشكل عفوي ، نظر إليها هنيئة ثم تبسم وقال :

– يا سبحان الله .

■ خير إن شاء الله .

– أنظر إلى هذه الرواية الشريفة ، إنها تنطبق على ما جرى عليّ اليوم ، إن هذا الكتاب هو من أجلِّ كتب الحديث عند الشيعة ، ورواياته في غاية الاتقان والاعتبار .

■ ماذا تقول الرواية ؟ وما موضوعها ؟

– يروي الشيخ الكليني بسنده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال – وعنده سدير ، وكان من خيار أصحابه – : «**إن الله إذا أحب عبداً غتّه بالبلاء غتاً ، وإنا وإياكم يا سدير لنصبح به ونمسي**» [1] ، وروى بإسناده عن الثقة الجليل محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه**» [2] ، فإن ما أصابني اليوم من بلاء المطر ، والتأخير ، والطين ، إنما هي تحفة أتحفني بها رب العزة تبارك وتعالى ، فإن صبرت عليها ، كان في ذلك أجر عظيم ، وثواب جزيل ، وحطة لذنوبي ، فلله الحمد أن رزقني صبراً أقهر به سيل البلاء ... هاك يا بسام ، هذا الكتاب هدية مني إليك .

أخذت الكتاب بيدي ، لكن عيني كانت متسمرة في الأرض ، كنت أسأل نفسي كيف راودني هذا الشعور السخيف ! كيف صار البلاء دليلاً على بطلان العقيدة ؟!! يا لحمقي ، وسوء فهمي ! إنه نزق الانتصار الذي سيطر على مخيلتي منذ البارحة ! تصبب وجهي عرقاً على الرغم من شدة البرد واستمرار سقوط المطر ، تمالكت نفسي قليلاً ، ورفعت

---

١ الكافي ٢\٢٥٣ .
٢ المصدر نفسه ٢\٢٥٤ .

رأسي نحو صاحبي وأنا أمسح بكمي بعض قطرات العرق من جبيني ، قلت له :

■ أشكرك أخ علي ، لكن لي معك حديث طويل ، ونقاش حامي الوطيس حول أدلة التقليد ، لقد أتعبتُ نفسي بالبحث والتحقيق منذ ثلاثة أيام ، وبفضل الله تعالى ، أتيتك بجيش من الأدلة على مشروعية التقليد ، ووجوبه بالنسبة للعوام أمثالنا ، وأن عمل العامي بلا تقليد باطل باطل !

– مهما كانت النتيجة التي وصلت إليها ، وطبيعة الأدلة التي جئت بها ، فإن أصل عملية البحث والتنقيب بين الكتب أمر إيجابي ، وخطوة في الاتجاه الصحيح ، لكن ...

■ لكن ماذا ؟

– لا يكون البحث مجدياً إذا كان موجهاً باتجاه واحد ... وما لم تتمتع بالتجرد عن القناعات السابقة ، وتتمرن على النظرة المقارنة للأدلة ، فإن بحثك لن يكون ذا قيمة تذكر .

■ من الصعب على كل باحث عن الحقيقة أن يتجرد عن قناعاته السابقة بشكل كامل .

– ربما ، لكنه مطالب بالتجرد والموضوعية قدر إمكانه ، ومع أول خطوة ستكون الأمور أكثر انسيابية ... الآن قل لي كيف بحثت ؟ وكيف كانت نتائج بحثك ؟

■ سأخبرك بالتفاصيل بعد انتهاء دروس اليوم .

نقض الأدلة القرآنية للتقليد

اتفقنا أن نلتقي مرة أخرى بعد انتهاء الدروس ، لكي أعرض عليه ما توصلت إليه من أدلة ، وأستمع إلى نقضه وإبرامه ، ولم يَبْدُ لي أن الأمر سيكون سهلاً وهيناً ، وإنما علينا أن نقطع سباقاً "ماراثونيناً" للوصول إلى الحقيقة .

لم تكن برودة الجو في ذلك اليوم مانعة من بدء الجلسة الحوارية الأولى مع الزميل (علي) ، فحرارة النقاش ، وسخونة الموضوع ، ولهفة الوصول إلى العقيدة الحقة ، كلها أمور جعلت من الجو البارد وقتاً مثالياً للولوج إلى مضمار الحوار ... كنتُ قد أعددت بحثاً صغيراً عن أدلة التقليد يتضمن خلاصة الجهد البحثي الذي قمت به ، قررت أن أبدأ الحوار بأسلوب الهجوم ، فهو خير وسيلة للدفاع ، جلست في كرسي قبالة الزميل (علي) وقلت له :

■ ليس من الإنصاف يا أخي أن تدعي أن التقليد باطل ، وأنه عقيدة مُحْدَثة ليس عليها نص من كتاب أو سنة ، فقد وجدت أن أدلته كثيرة من القرآن والسنة والعقل .

– كل أصحاب العقائد الباطلة يصنعون أدلة لعقائدهم ، فهل رأيت عاقلاً يتبنى عقيدة ثم يدعي أنه لا دليل عليها ؟! ولكنك ستجد أن أدلة أهل الباطل لا تخلو من أن تكون مجتزأة ، أو تعتمد النصوص المتشابهة ، أو تخرج من دلالة النص الصريح إلى التأويل والتكلف ،

وستجد مصداق كلامي في أدلة التقليد المزعومة ، يمكنك أن تطرح هذه الأدلة واحداً بعد الآخر حتى أجيب عنها .

■ أول دليل قرآني هو قوله تعالى {فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[1] ، وفيه دلالة ظاهرة على وجوب التقليد ؛ فالحذر المترتب على الإنذار أمر واجب بملازمة ما يترتب على تركه من محذورات وتعريض النفس للحساب والعقاب ، والإنذار ما هو إلا تبليغ الفقه وأحكام الشريعة إلى الناس ، وقد ندبت الآية لهذا التفقه والإنذار بعض الناس لا كلهم ، فالآية في مقام الإلزام بأخذ قول الفقيه ، وهو التقليد .

– أول الكلام في حجية ظواهر القرآن الكريم، وفي تعريف التقليد ؛ أما الأول فسنوكله إلى مبحث التفسير ، وسنقبل جدلاً بحجية ظواهر الكتاب ، وإن كان عندنا نقاش طويل في ذلك ، وأما تعريف التقليد فهو (قبول قول الغير بلا حجة) أو (بلا مطالبة بالدليل) او (من غير معرفة الدليل)[2] ، ويطلق اليوم على قبول التزام المكلف بقول المجتهد مع العمل أو بدونه على اختلاف الأقوال ...

■ وهل تختلف الأقوال في تعريف "التقليد" ؟!

– نعم ، وهذا أول الغيث ، فقد اختلفوا في كفاية مجرد قصد الالتزام بفتوى المجتهد ، أو وجوب العمل بتلك الفتوى ، يقول السيد

---

١ التوبة : ١٢٢ .

٢ الاجتهاد والتقليد ، محمد مهدي شمس الدين ، ص١٧٩ ، راجع أيضاً : تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة للفاضل اللنكراني شرح ص٤٣ ،

محمد كاظم اليزدي (ت١٣٣٧) : «التقليد هو الالتزام بالعمل بقول مجتهد وإن لم يعمل بعد ..» ، بينما يخالفه السيد محسن الحكيم (ت١٣٩٠) بقوله : «بل هو العمل اعتماداً على فتوى المجتهد»[١] .

■ هذا اختلاف شكلي ، لا يؤثر شيئاً .

– بل يؤثر ، وتترتب عليه النتائج ، يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين : «ويظهر من كلام كثير من كلام المحققين أن هذا الخلاف في معنى مصطلح (التقليد) ليس لفظياً شكلياً ، بل هو خلاف مفهومي ، وقد رتبوا عليه نتائج فقهية في مسألة مشروعية أو عدم مشروعية البقاء على تقليد الميت ، تارة : من حيث أصل مشروعية البقاء من عدمها ، وأخرى [من] حيث ما يجوز البقاء فيه وما لا يجوز بناءً على أصل المشروعية ..»[٢] .

■ لم أفهم كثيراً ، هل بإمكانك التوضيح رجاءً؟

– يعني لو فرضنا أن شخصاً قرر تقليد مجتهد معين ، وعمل ببعض المسائل طبقاً لفتاواه ثم توفي ذلك المجتهد ، فمع القول بصحة مبنى البقاء على تقليد الميت ، فهل يبقى مقلداً في المسائل التي عمل بها فقط (بناءً على قول الحكيم ومن يؤيده) ، أم يجوز له البقاء في جميع المسائل ، ما عمل بها وما لم يعمل (بناءً على قول اليزدي

---

١ انظر : العروة الوثقى – تأليف السيد محمد كاظم اليزدي ، مؤسسة السبطين ، ج١\ص٢٣٤ ، وفي هامش ص٢٣٥ ، وقد تنازع المعلقون في ميلهم لأحد هذين القولين .

[٢] الاجتهاد والتقليد ، مصدر سابق ، ص١٧٩ .

وأمثاله) ، والمسألة لا تعدو كونها ظناً في ظن ، ورأياً في رأي ليس عليها من كتاب الله تعالى آية محكمة ، ولا من الروايات كلام للعترة الطاهرة !

■ عوداً على بدء ، أجبني عن دلالة (آية النفر) على وجوب التقليد .

– حباً وكرامة ، كنت قد وصلت في جوابي إلى أن المفهوم العام للتقليد هو قبول قول الغير بلا حجة ودون سؤاله عن دليله ، وهذا المعنى ليس متضمناً في الآية الشريفة ، لا نصاً فيها ، ولا حتى في دلالتها الظاهرية ، فيا للعجب ممن يستدل بهذه الآية الشريفة على مراده ؟؟

■ ولكن دلالتها التبعيضية واضحة (من كل فرقة) ، فالتفقه مسؤولية (بعض) المجتمع وليس كله .

– التبعيض ليس متلازماً مع التقليد ، والآية لم تقل إن التفقه واجب على (بعض) المجتمع ، إنما أوجبت (النفر) على بعض المجتمع ، وهو في اللغة الخروج ، أعم من كونه للجهاد أم لأخذ علوم الشريعة من أهلها ، وأوجبت على جميع المجتمع تعلم تلك العلوم والعمل بها حتى يحذروا من الوقوع في الضلال والهلاك ، ولم تشر الآية أن طريقة التعلم تكون بالتقليد ؟؟! وهل ينحصر أخذ العلم بالتقليد ؟!! ربما يكون من باب أخذ الرواية (كما تدل نصوص سنوردها) ، أو من باب التفاوض بالعلم ، وهو معنى آخر مختلف عن التقليد .

■ لكن الآية مطلقة لكل ما يحصل به الإنذار سواء بنقل الرواية أو بالفتوى ؟

– إذن هي ليست مختصة بالتقليد بمفهومه المعاصر، وعليك أن تعلم أخي العزيز ، أن الاستدلال بالإطلاقات والعمومات حرفة العاجز ، فكم في القرآن الكريم من إطلاق وعموم استغله أهل الضلال لتمرير نظرياتهم الباطلة ، وآرائهم الفاسدة ، والقرآن حمال ذو وجوه ، فلا بد من أخذ تفسيره عن أهل البيت (عليهم السلام) .

■ وماذا تقول روايات أهل البيت (عليهم السلام) بشأن هذه الآية الشريفة ؟

– ورد في تفسير هذه الآية الشريفة جملة من الروايات كلها بعيدة عن مفهوم التقليد بمعناه الأصولي، فقد ورد في تفسير القمي : « وقوله ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً– فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ– لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ يعني إذا بلغهم وفاة الإمام– يجب أن يخرج من كل بلاد فرقة من الناس– ولا يخرجوا كلهم كافة– ولم يفرض الله أن يخرج الناس كلهم– فيعرفوا خبر الإمام–»[1] ، وورد أيضاً عن الباقر (عليه السلام) : «**إِنَّمَا شِيعَتُنَا مَنْ تَابَعَنَا وَلَمْ يُخَالِفْنَا، وَمَنْ إِذَا خِفْنَا خَافَ، وَإِذَا أَمِنَّا أَمِنَ، فَأُولَئِكَ شِيعَتُنَا. وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) وَقَالَ اللَّهُ (وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ**

---

١ تفسير القمي ١\٣٠٨ .

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) فَقَدْ فُرِضَتْ عَلَيْكُمُ الْمَسْأَلَةُ وَالرَّدُّ إِلَيْنَا، وَلَمْ يُفْرَضْ عَلَيْنَا الْجَوَابُ»[1] .

■ وما دلالة هذه الرواية ؟

- دلالتها واضحة أن التفقه في الآية أخذ الرواية والعلم عنهم (عليهم السلام)، لا أخذ الفتوى الناشئة عن الرأي والنظر .

■ وهل توجد روايات أخرى في تفسير هذه الآية القرآنية (أعني آية النفر) ؟

- نعم أخي، ورد عن الصادق (عليه السلام) : **«إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا هَلَكَ، وقَعَتْ حُجَّةُ وصِيِّهِ عَلى مَنْ هُوَ مَعَهُ فِي الْبَلَدِ، وحَقَّ النَّفْرُ عَلى مَنْ لَيْسَ بِحَضْرَتِهِ إِذَا بَلَغَهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ- عَزَّ و جَلَّ- يَقُولُ: (فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)»**[2] ، وعن الرضا (عليه السلام) في علل تشريع الحج قال : **«مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّفَقُّهِ وَنَقْلِ أَخْبَارِ الْأَئِمَّةِ (عليهم السلام) إِلَى كُلِّ صُقْعٍ وَنَاحِيَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون»**[3] ، وروى الشيخ الصدوق (عليه الرحمة) عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) : إِنَّ قَوْماً رَوَوْا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) قَالَ : إِنَّ اخْتِلَافَ أُمَّتِي رَحْمَةٌ ، فَقَالَ :

---

١ قرب الإسناد ص٣٠٥ .
٢ الكافي ١\٢٩٦ .
٣ عيون أخبار الرضا ٢\١١٩ .

صَدَقُوا ، قُلْتُ : إِنْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةً فَاجْتِمَاعُهُمْ عَذَابٌ ، قَالَ : **«لَيْسَ حَيْثُ ذَهَبْتَ وَذَهَبُوا إِنَّمَا أَرَادَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ- فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَيَخْتَلِفُوا إِلَيْهِ فَيَتَعَلَّمُوا ثُمَّ يَرْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَيُعَلِّمُوهُمْ ، إِنَّمَا أَرَادَ اخْتِلَافَهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ لَا اخْتِلَافاً فِي دِينِ اللَّهِ ، إِنَّمَا الدِّينُ وَاحِدٌ»**[1] .

■ اسمح لي أن أراجع هذه الروايات بدقة في المصادر ، ولكن هل توجد رواية تربط بين هذه الآية وبين التقليد؟ .

– أبداً لا توجد ، وبإمكانك التأكد بنفسك ، بل أكثر من ذلك ، جملة من فقهاء المدرسة الأصولية ، لا يرون في هذه الآية الشريفة أية دلالة على مفهوم التقليد ...!

■ مستحيل ، هذه الآية يستدل بها كل من قرأت له تقريباً من المعاصرين .

– استقراؤك ناقص مع الأسف ، يقول الشيخ المنتظري : «محط النظر فيها هو بيان وجوب التفقه في العلوم الدينية ثم نشرها ليتعلم غير النافرين ، وليست في مقام جعل الحجية التعبدية لقول الفقيه مطلقاً حتى يتمسك بإطلاقه لصورة عدم حصول العلم أيضاً»[2] .

■ الشيخ المنتظري له آراء تخالف المشهور ، أريد من علماء حوزة النجف .

---

[1] الكافي

٢ نظام الحكم في الإسلام ٢٤٦ .

– يقول الآخوند الخراساني – صاحب الكفاية ، أشهر كتاب أصول في الحوزة – : «إن الآية مسوقة لبيان وجوب النفر ، لا لبيان غايتية[1] التحذر ، ولعل وجوبه كان مشروطاً بما إذا أفاد العلم لو لم نقل بكونه مشروطاً به»[2] ، وواضح أن فتوى المجتهد لا تفيد العلم ، فالآية لا تشملها بحسب رأي الخراساني .

■ نعم ، كلامه واضح .

– ويقول السيد أبو الحسن الإصفهاني : «فالآية لا تدل على وجوب الحذر عند الإنذار مطلقاً ، لأنها ليست في مقام بيان غاية التحذر للإنذار حتى يتمسك بإطلاقها ، بل في مقام بيان وجوب النفر ، ولعل وجوب الحذر كان مشروطاً بحصول العلم ، إذ ليست فائدة وجوب الإنذار منحصراً بالتحذر تعبداً ، بل يمكن أن تكون الفائدة بلوغ عدد المخبرين إلى حد يحصل العلم بقولهم وفيما إذا حصل العلم يجب الحذر لا مطلقاً»[3] .

■ نعم ، كلامه واضح أيضاً ، والأصفهاني تلميذ الخراساني !

ابتسم زميلي (علي) قليلاً قبل أن يكمل كلامه قائلاً :

– والسيد الخميني أيضاً شكك بدلالة الآية قائلاً : «والانصاف : أن الآية أجنبية عن حجية قول المفتي ، كما أنها أجنبية عن حجية قول

---

١ نسبة (غايتية) من (غاية) أمر لا يجوز في قواعد اللغة ، ولكنها الحوزة التي أحدثت في اللغة كما أحدثت في الدين !
٢ كفاية الأصول ٢٩٩ .
٣ وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول – تقرير بحث الاصفهاني – ص٥١٥ .

المخبر»[1] ، وممن نفى صحة الاحتجاج بها السيد مرتضى الحسيني اليزدي الفيروزآبادي، قال : «إن دلالة هذه الآيات الكريمة على أصل التقليد غير معلومة ولا واضحة»[2] ، وكذا المحقق محمد حسين القديري قال في معرض نفيه لحجيتها : «وأما آية النفر فلا تدل إلا على لزوم الإنذار بعد التفقه والرجوع حتى يحصل الخوف عند تخويفهم والحذر عند إنذارهم ، وهذا لا يستلزم حجية قول المنذرين فضلاً عن حجية فتواهم ، وبالجملة التخويف لغرض حصول الخوف لا يستلزم الحجية ، فان الخوف قد يحصل من تخويف من لا يكون قوله حجة كالصبي والمجنون بل الفاسق وغيرهم ، والحاصل إن الآية ليست في مقام جعل الحجية لشئ فضلا عن الفتوى والاجتهاد مع أن ذلك لا يستلزم الإنذار كما لا يخفى»[3] .

■ جيد ، سأراجع كل ما قلته لي من نصوص وروايات واستشهادات ، دعنا ننتقل للآية الثانية ، وهي قوله تعالى : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[4] .

– الاستدلال بهذه الآية أعجب وأغرب من سابقتها ، وجوابها بسيط جداً ، وهو أن (أهل الذكر) المقصودين بهذه الآية هم أهل البيت (عليهم السلام) ؛ لتوافر النصوص الروائية على ذلك ، بل إن هناك باباً

---

١ الاجتهاد والتقليد ، السيد الخميني- ص ٣٩ .

[2] عناية الوصول في شرح كفاية الأصول ٢٨٤١٦ .

[3] البحث في رسالات عشر" ٤٠٩

٤ النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧ .

خاصاً في أصول الكافي بعنوان (ان أهل الذكر الذين أمر اللهُ الخلقَ بسؤالهم هم الأئمة (عليهم السلام)) ، أورد فيه الشيخ الكليني (أعلى الله مقامه) ما لا يقل عن تسع روايات صريحة المضمون[1] ، وتعميم الآية للفقهاء والمجتهدين ، وهي مخصوصة بأهل البيت (عليهم السلام) ، ظلم عظيم بحقهم أعاذك الله تعالى منه .

■ أرجو أن ننهي الحوار لهذا اليوم فأنا متعب جداً .

بهذه الجملة أنهيت حواري حول الآيات القرآنية مع الصديق (علي) ، وقد وقعتْ كلمته الأخيرة كالصخر الأصم على أم رأسي ، فاستعذت بالله تعالى من ظلم آل محمد (صلوات الله عليهم)، وحتى لا أشعر بالحرج أكثر ، سلمت عليه على عجل ، ولممت أوراقي وحقيبتي ، ونهضت هائماً على وجهي ، لقد تكسرت هيبة الانتصار على صخرة الحوار العلمي ، وكشف لي الأخ (علي) عن نصوص ، وروايات ، وأقوال للفقهاء ، كانت كافية أن تلجم أدلتي ، وتجعلني أرجع للمربع الأول ، أبحث عن نقطة شروع في خارطة البحث عن الحقيقة الضائعة .

نقض الأدلة الروائية للتقليد

كان اللقاء الثاني مع الأخ (علي) مخصصاً للبحث والمناقشة حول الأدلة الروائية للتقليد ، وكنت أعتقد أن هذه المرحلة ستكون أسهل من

---

١ الكافي ١\٢١٠ .

غيرها ؛ لأن النصوص الروائية أكثر تفصيلاً ، وليس فيها عبارات كثيرة حمالة لوجوه كما في القرآن الكريم ، وكنت قد اتفقت مع صديقي **(علي)** في اليوم السابق أن نلتقي في بيته عصر هذا اليوم لبدء جلسة الحوار الثانية ، وفعلاً ذهبت لبيته فوجدته قد استعد جيداً لهذه الجلسة ، وكان متلهفاً لها ؛ لأن الحديث الشريف – كما قال لي بعدئذٍ– هو الحجر الأساس في فهم المعارف والعلوم الشرعية ، ولهذا فإنه كان يولي اهتماماً كبيراً للمباحث الروائية .

جلسنا سوية في غرفة الضيوف ، وبعد مقدمة بسيطة من السلام والمجاملات ، ابتدأني صاحبي **(علي)** بالحوار قائلاً :

– هل راجعتَ المباحث التي ناقشناها يوم أمس .

■ كلا ، فقد رجعت متعباً ، وانشغلت ببعض الأمور البيتية ، وسأراجع المبحث القرآني والروائي بعد الانتهاء من هذه الجلسة إن شاء الله تعالى .

– لا بأس ، من أين تحب أن نبدأ البحث الروائي .

■ من الحديث المشهور «**فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه**»[1] .

---

١ الاحتجاج ٢\٢٦٣ .

ما إن سمع (علي) جملتي الأخيرة حتى اتكأ على وسادة كانت خلف ظهره ، ولمحت في عينيه بريقاً يخفي كلاماً طويلاً ، ثم مزج ذلك البريق مع ابتسامة خفيفة ونظر إلي بهدوء ثم قال :

- صار هذا الحديث مشهوراً في هذه الأعصار ؛ لأنه جزء مهم من دعاية التضليل الأصولية .

■ كيف ذلك ؟ هل يمكن أن توضح لي أكثر ؟

- هذا الحديث لم يكن مشهوراً إلى حدود القرن الثاني عشر من الهجرة حين أورده صاحب الوسائل في كتابه نقلاً عن كتاب الاحتجاج ، ثم صار بعد ذلك جزءاً لا يتجزأ من الدعاية الأصولية لعقيدة التقليد مع كونه ضعيف السند ، شاذ المتن ؛ لأنه النص الوحيد الذي استعمل مصطلح "التقليد" مع غير الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، وورد فيه لفظ (العوام) ، وهو لفظ غريب عن أحاديث أهل البيت (صلوات الله عليهم) .

■ كيف حكمت عليه بالضعف والشذوذ ؟ والحال أن علماءنا يذكرونه في رسائلهم العملية[1] .

---

١ من المفارقات أن كتاب (العروة الوثقى) من تأليف السيد محمد كاظم اليزدي وقد حظي بالتعليق عليه من العلماء السابقين والمعاصرين في ما يربو على (أربعين تعليقة) ، وهو كتاب فتوائي يخلو عادة من الأحاديث والروايات إلا في باب التقليد ففي المسألة ٢٢ الخاصة بصفات المجتهد ذكر اليزدي هذه الرواية للاستشهاد بها ! فأين نجد هذه الرواية في موازين الجرح والتعديل عندهم ؟! وكيف صارت من الروايات القلائل المذكورة في كتاب العروة الوثقى مع تصريحهم بضعفها وعدم ثبوت نسبة التفسير للإمام العسكري (عليه السلام)؟.

– لست أنا من حكم عليه ، بل كبار علماء المدرسة الأصولية ...

■ هل بإمكانك التفصيل لو سمحت ؟

– نعم ، إذا بحثت في كتب الفقه الاستدلالية عند الأصوليين تجد أن كثيراً منهم يصرح بعدم ورود مفهوم التقليد ، لا لفظاً ولا مفهوماً اصطلاحياً ، في الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، وليس عندهم إلا رواية (فللعوام أن يقلدوه) ، وهي رواية ضعيفة السند لأمرين : أولهما أن صاحب الاحتجاج المتوفى بحدود ٥٤٨ هـ هو أقدم مصدر روائي يذكر هذه الرواية ، وقد نقلها مرسلة عن تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) ، فالعلة الأولى هي الإرسال ، أما العلة الثانية فهو ضعف سند تفسير العسكري نفسه ، بل تشكيك بعض المحققين بصحة نسبة هذا التفسير إلى الإمام العسكري (عليه السلام) .

■ كيف يستدلون به في رسائلهم ، ثم يصرحون بعدم صحة التفسير المذكور ؟

– عليك أن تسألهم هم عن هذا التناقض ، أما أنا فأرى أن ذلك من باب "التدليس" على العوام ، عن قصد أو عن غير قصد ، ومع الأسف فإن الحالة الشيعية اليوم تفتقد لثقافة التحقيق والتمحيص ، وبتعبيرنا بالعراقي : (يعبر عليها كلشي) .

■ هل لك أن تذكر أمثلة على تضعيفهم للحديث ؟

– نبدأ بالسيد الخوئي الذي قال : «إن التكلم في مفهوم التقليد لا يكاد أن يترتب عليه ثمرة فقهية ، اللهم إلا في الندر . وذلك لعدم وروده في شئ من الروايات . نعم ورد في رواية الاحتجاج "فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه . مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه" ، إلا أنها رواية مرسلة غير قابلة للاعتماد عليها ، إذاً فلم يؤخذ عنوان التقليد في موضوع أي حكم لنتكلم عن مفهومه ومعناه»[1].

■ عجيب ! السيد الخوئي يقول إن مفهوم التقليد لم يرد في شيء من الروايات ؟!!

– نعم أخي، وقال في مورد آخر : «وقد يستدل عليه برواية الاحتجاج المروية عن التفسير المنسوب إلى العسكري – (عليه السلام) – حيث ورد فيها : فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ... ويدفعه " أولا " : أن الرواية ضعيفة السند ؛ لأن التفسير المنسوب إلى العسكري – (عليه السلام) – لم يثبت بطريق قابل للاعتماد عليه»[2] .

■ وهل يوجد غير السيد الخوئي ؟

---

١ كتاب الاجتهاد والتقليد ، السيد الخوئي - تقرير الشيخ علي الغروي ، ج١ شرح ص٨١ .
٢ كتاب الاجتهاد والتقليد ، السيد الخوئي ، شرح ص٢٢١ .

– بالتأكيد ، صرح السيد الخميني بضعف سنده في غير واحد من كتبه[1] ، وممن صرح بضعفه أيضاً السيد محمد سعيد الحكيم في مصباح المنهاج ، شرح ص١٣ و٥٥ وآخرون .

■ ربما يستدلون به من باب (الضعيف المنجبر بالشهرة) ، وهي قاعدة معروفة .

– أول الكلام أن بعضهم لا يرى أصلاً صحة هذه القاعدة ، وحتى لو تمت هذه القاعدة عندهم ، فإن أحداً منهم لم يصرح بشهرة هذا الحديث ، كيف وأقدم مصدر له كان في القرن السادس الهجري ؟! أضف إلى ذلك تصريح بعضهم بأن تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) تفسير موضوع ، وأنت تعرف أن (الموضوع) لا ينجبر بالشهرة ، ولا بغيرها[2] .

■ موضوع ... ! لا تبالغ يا أخي ، النصوص التي أوردتها صرحت بالضعف ، ولم تذكر الوضع الذي أنت تزعمه .

– سأنقل لك بعضاً من أقوال كبار الأصوليين قديماً وحديثاً ، تتوزع هذه الأقوال على كونه تفسيراً "موضوعاً" ، "غير موثوق" ، " لم يثبت" ، وهذه الأقوال هي :

---

١ الاجتهاد والتقليد ، السيد الخميني ، ص٩٥ ؛ تهذيب الأصول ، تقرير بحث السيد الخميني للسبحاني ، ٣\١٨٠ .

٢ لأن الموضوع هو المكذوب، أما الضعيف فيحتمل الصحة وعدمها .

* العلامة الحلي (ت٧٢٦ هـ) في خلاصة الأقوال ص٤٠٤ : «محمد بن القاسم ، وقيل ابن أبي القاسم ، المفسر الاسترآبادي ، روى عنه أبو جعفر ابن بابويه ، ضعيف كذاب ، روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين ، ... عن أبي الحسن الثالث (عليه السلام) ، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير» .

* السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، قال في معجم رجال الحديث ج٩ ص٩٥ : «إلا أن هذا التفسير لم يثبت أنه من الإمام (عليه السلام) ، بل فيه ما ينافي ذلك ..» .

* وقال السيد الخوئي أيضاً في المصدر نفسه ١٥٧\١٣ : «إن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع ، وجلّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير ، فكيف بالإمام (عليه السلام) ؟» .

* وقال السيد الخوئي (رحمه الله) أيضاً في كتاب الاجتهاد والتقليد– ج١ شرح ص٢٢١ دار أنصاريان للطباعة والنشر –تقرير الشيخ علي الغروي : «التفسير المنسوب إلى العسكري – (عليه السلام) – لم يثبت بطريق قابل للاعتماد عليه» .

* الشيخ هادي النجفي، قال في كتابه ألف حديث في المؤمن ص١٦٥ : «أما التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) وإن لم يثبت عندنا صحة هذه النسبة ، لضعف سنده وما فيه ، بل الثابت أنه ليس للإمام (عليه السلام) ...» .

* وفي تفسير شُبّر ص٣١ (نقلا عن مقدمة ألاء الرحمن للبلاغي (رحمه الله)) : «وأما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فقد أوضحنا في رسالة منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع» .

* وقال السيد محمد الصدر (رحمه الله) في تاريخ الغيبة الصغرى ص١٩٧ : «وقد نسب إليه أيضاً بشكل غير موثوق التفسير المشهور بتفسير الإمام العسكري .... [وأضاف] : روايته ضعيفة لا تصلح للإثبات التاريخي» .

* أما الشيخ محمد تقي التستري (رحمه الله) في قاموس الرجال ١٠\١٥ فقد عبر عنه بقوله : «التفسير الموضوع المفترى على العسكري (عليه السلام) ...» .

* وفي كتاب دراسات في ولاية الفقيه ٢\٩١ للشيخ المنتظري (رحمه الله) : «ومنها ما في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري – (عليه السلام) – : " فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه" ... وقد قطع جمع من الأعلام منهم ابن الغضائري بكون التفسير موضوعاً، وقالوا إن فيه مطالب لا يناسب صدورها عن الإمام – (عليه السلام) –» .

* ويقول المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ) في "حياة الإمام العسكري (عليه السلام)" ص١١١ يقول: «إن من المؤكد أن هذا

التفسير ليس للإمام أبي محمد (عليه السلام) ، وإنما هو من الموضوعات والمختلقات» .

■ يا سبحان الله ، أين كانت مثل هذه التصريحات عنا ، ولماذا لم نكن نقرأها ؟

– قلت لك مسبقاً ؛ لأنكم تأخذون ثقافة دينية جاهزة ، تفتقر إلى الوعي الذي يخلقه مبدأ التحقيق العلمي ، وسأزيدك من الشعر بيتاً ، إن التدليس الآخر الذي مارسته المدرسة الأصولية هو اجتزاء هذا الحديث ، وبتر تكملته ، وسأذكر لك بعضاً من تلك التكملة الطويلة ، ورد في الخبر المذكور : «**فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فإنه من ركب من القبايح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً ، ولا كرامة ، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك؛ لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم**»[1] .

■ هذه التكملة لا تؤثر على معنى الحديث كثيراً ، فمفهوم التقليد في الحديث باقٍ على حاله .

– لكنها تضعف من جاذبية الحديث ، وقدرته على لفت الأنظار ، وتوجيه العقول ، أنظر – أخي – أنهم لو أكملوا الحديث لم يكن له

---

١ الاحتجاج ٢\٢٦٣ .

تأثير كما لو بتروه ، فإنه يتحدث أن هذه الصفات غير متوفرة في كل فقهاء الشيعة ، إنما في بعضهم ، كما تتحدث عن استبعاد من يركب مراكب العامة في القبائح والفواحش ، ومن أوضح قبائح العامة العمل بالرأي والقياس والاستحسان .

■ الآن لو غضضنا الطرف عن سند الحديث ، فإن متنه محكم ، واضح الدلالة ، وهو يشير إلى تقليد العوام للفقهاء ، وهذا ما يجري اليوم .

– ليس الأمر كذلك ، فإننا لو عرضنا متن هذا الحديث على روايات أهل البيت (عليهم السلام) الواردة في مصادرنا القديمة المعتبرة لوجدناه متناً شاذاً ، لا يمكن العمل به ، والسبب في ذلك يعود لأمرين : أولهما أن لفظ (التقليد) في النصوص الشريفة لم يأتِ لغير الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، وإذا جاء لغيرهم فإنه يرد في باب الذم ، لا في باب المدح وتأسيس القواعد الشرعية ، وثانيهما : إن لفظ (العوام) غير موجود في كلام أهل البيت (عليهم السلام) ، ومع شذوذ المتن لا يمكن الاعتماد عليه، ولذلك فهم بعض الأعلام أن المقصود بالتقليد في الخبر هو تلقي الرواية، يقول الحر العاملي في وسائله ج٢٧ ص١٣٢ تعليقاً على هذا الخبر : «التقليد المرخص فيه هنا إنما هو قبول الرواية لا قبول الرأي والاجتهاد والظن وهذا واضح ، وذلك لا خلاف فيه» .

■ ولكن وجود العوام حقيقة قائمة في زماننا وقبل زماننا .

– هذه الحقيقة خلقها الابتعاد عن أهل البيت (عليهم السلام) ، والانحراف عن طريقتهم ، وإلا فإن العامي "جاهل" باتفاق اهل المعرفة ، والجهل أمر مذموم لا يمكن أن نتصور أن الشريعة الغراء التي ذمته في غير مكان من الكتاب والسنة ، وذمت الجهال والجهلاء ، تأتي وتشرع لبقاء الجهل في المجتمع من خلال الرضا بتقسيم المجتمع إلى عوام مقلِّدين وفقهاء مقلَّدين !

■ ولكن ما الحل إذن ، ليس بالإمكان أن يتحول كل هذا المجتمع ، بما فيهم الصغير ، وذو الشيبة ، والصانع والكاسب ، والطبيب والمهندس ، والمرأة والرجل ، إلى فقهاء ! هذا أمر محال !

– من حقك أن تُشكل هذا الإشكال ، ولكن من حقي أيضاً أن أؤجل الجواب إلى حين اكتمال مناقشة أدلة التقليد ، فسنأتي إلى الحديث عن نظرة أهل البيت (عليهم السلام) إلى تقسيم المجتمع ، وعن طريقة التفقه وتعلم العلوم الشرعية وفق التأسيس الوراد في الروايات الشريفة ، فلا تستعجل البحث يا أخي .

■ إذن فلنكمل باقي الأدلة ، فأنا متلهف للحديث حول (بدائل التقليد) .

– إن شاء الله ، تفضل على بركة الله .

■ الرواية الثانية : ما خرج لإسحاق بن يعقوب من توقيع للإمام المهدي (عليه السلام) عن طريق السفير الثاني محمد بن عثمان العَمري : «**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم**

حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[1] ، وفيه دلالة واضحة على وجوب الرجوع في الحوادث الواقعة إلى الفقهاء العارفين بحديث أهل البيت (عليهم السلام) .

– جيد ، دعنا أولاً نناقش في سند هذا الحديث ، فإن إسحاق بن يعقوب الراوي لهذا الحديث مجهول بإجماع المحققين الأصوليين تقريباً ، ورواية المجهول ضعيفة ، ولا يمكن الاحتجاج بها عند علمائك ومراجعك .

■ هل يمكن أن تذكر لي نصوصاً في ذلك ؟

– يكفيك أن الخوئي والخميني حكما بضعف الرواية[2] ، تابعهما على ذلك الشيخ المنتظري والسيد محمد صادق الروحاني وآخرون[3] .

■ ولكن الرواية موجودة في كتاب (كمال الدين) للصدوق ، وفي سندها ثقة الإسلام الكليني ، وجملة من المحققين حكموا باعتبارها .

– لو سألتني عن رأيي لقلت لك إنها رواية صحيحة ، ولكني نقلت تضعيف بعض كبار الفقهاء المعاصرين لأمرين : لأبين أن منهجية التضعيف السندي التي يتبعونها منهجية فاسدة ، أسقطت الكثير من الروايات عن مدار الحجية ، مما اضطر أصحابها إلى إيجاد طرق جديدة لتوثيق الرجال عند الحاجة للاستدلال بالنصوص ، والأمر الآخر

---

١ كمال الدين للصدوق/ ج٢/ باب ٤٥/ ح٤.
٢ كتاب الاجتهاد والتقليد للسيد الخوئي شرح ص٣٥٨ ؛ الرسائل للخميني ١٤٢\٢ .
٣ راجع : نظام الحكم في الإسلام ، المنتظري ، ٢٤٧ ؛ فقه الصادق (عليه السلام) ٣٧١\٣ .

أن كثرة الاستدلال بهذه الرواية ما هو إلا تهويل أجوف ينفجر كالفقاعة امام النقد العلمي .

■ إذن لننتقل إلى البحث المتني ، ما إشكالاتك على الاستدلال بهذه الرواية على حجية التقليد ؟

– دعني أولاً أنقل لك إشكالات بعض المحققين الأصوليين على متن هذه الرواية ، وعدم دلالتها على مفهوم التقليد ، ثم أنتقل لبيان موقفي منها ، يقول السيد الخميني بعد بيان ضعف سند هذا التوقيع : «إن صدره غير منقول إلينا ، ولعله كان مكتنَفاً بقرائن لا يفهم منه الا حجية حكمهم في الشبهات الموضوعية أو الأعم ، وكان الإرجاع في القضاء لا في الفتوى»[1] ، ويقول المنتظري حول توقيع اسحاق بين يعقوب ورواية تفسير العسكري : «هذا ولكن الروايتين ضعيفتان ، وإثبات الحجية لقول الفقيه الثقة مطلقاً وإن لم يحصل العلم ، بمثلهما مشكل»[2]، كما يقرر السيد الخوئي أنه لا يجوز إطلاق لفظ الرواة على المجتهدين إلا من باب التسامح، يقول في أبحاثه الفقهية : «الإرجاع إلى رواة الحديث ظاهره الإرجاع إليهم بما هم رواة لا بما أنهم مجتهدون ، والنسبة بين الراوي والمجتهد عموم من وجه ، وإن كان يمكن إطلاق الرواة على المجتهدين بعناية أنهم في الحقيقة رواة الأئمة (عليهم

١ الرسائل للخميني ١٤٢\٢ .
٢ الحكم في الإسلام ، المنتظري ، ٢٤٧ .

السّلام) ومستفيدين من آثارهم وعلومهم وليسوا في عرضهم بوجه إلَّا أنه إطلاق مسامحي»[1] .

■ هذا معلوم ، ولكن أريد إشكالاتك أنت على متن الحديث .

– نعم ، إذا نظرنا إلى توقيع (اسحاق بن يعقوب) لرأينا أنه عبارة عن أجوبة للإمام المهدي (عليه السلام) على مسائل بعثها إسحاق بن يعقوب عن طريق السفير الفذ محمد بن عثمان بن سعيد العَمري (رضي الله عنه وعن أبيه) ، وللأسف فإن الرواية لا تتضمن ذكر المسائل ، وإنما هي مقتصرة على إيراد الأجوبة ، وهذه أولى نقاط الضعف في النص ؛ فإن فقدان السؤال يجعل الجواب مفتوحاً على التأويلات والاحتمالات كما هو الحاصل بالفعل .

■ نعم ، وهذا الإشكال قرأته لبعض الأصوليين أيضاً .

– جيد ، بقي علينا ان نناقش الفقرات الواردة في متن هذا المقطع من الحديث ، وهي قوله (عليه السلام) (الحوادث الواقعة) ، (فارجعوا) ، (رواة حديثنا) ، (حجتي عليكم) ؛ أما قوله (الحوادث الواقعة) فإنه كلام مجمل ، قابل للاحتمالات ، ومن هذه الاحتمالات :

أولاً : المقصود بها عموم الحوادث في زمان الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى ، وهي الحوادث المصنفة في باب القضاء ، والشبهات الموضوعية ، والشبهات الحكمية ، كما يقول علماء الأصول ، يعني أن عموم ما للإمام من صلاحيات في الفتوى والقضاء تنتقل للفقيه ، وهذا

---

١ كتاب الاجتهاد والتقليد ، السيد الخوئي - تقرير الشيخ علي الغروي ، ج١ شرح ص٣٠٢ .

يعني بالملازمة وجوب التقليد لثبوت حجية قول الفقيه على مقتضاه ، وقد وسع البعض من تلك الصلاحيات ليشمل ما يسمونه بالأحكام الولائية ، او صلاحيات ولاية الفقيه ، بمعنى حيازة الفقيه لما للإمام من صلاحيات – إلا ما ثبت استثناؤه– ، وهذا الاحتمال بشقيه كليهما رجم بالغيب ، ليس عليه دليل أو قرينة من داخل النص ، وهو تحميل للنص أكثر مما يحتمل ، بل القرائن الداخلية والخارجية على خلافه كما سنذكر إن شاء الله تعالى .

ثانياً : إن المقصود بها خصوص الحوادث الواقعة في زمن السائل ، أي زمان الغيبة الصغرى ، وهذا هو القول المختار ، وعليه جملة من القرائن الداخلية في النص ، منها : أن جملة الأسئلة الواردة في التوقيع تدور حول مسائل خاصة في ذلك الزمان ، كسؤاله عن مصير جعفر عم الإمام ، وعن الخُمس ، وعن حال بعض الشخصيات الصالحة كالعَمري وابن مهزيار ، وعن حال بعض الفرق الضالة في ذلك الزمان ، وعن علة الغيبة ، وكلها مسائل تتعلق بأمور تخص الواقع الشيعي في زمان الغيبة الكبرى ، ومن القرائن ضمير المخاطب في (فارجعوا) ، (عليكم) ، وكأنه خطاب مباشر لأهل ذلك الزمان ، وهناك قرائن خارجية سنذكرها في محلها إن شاء الله .

■ وقوله (فارجعوا) ما تعليقك عليه ؟

– الرجوع – يا أخي – تارة يكون لمعصوم ، وتارة يكون لغير المعصوم ، والذي يدقق في سيرة الأئمة (عليهم السلام) ، يجد أنهم

(عليهم السلام) لم يرجعوا شيعتهم لغير المعصوم إلا لأخذ الرواية وحسب ، أما أخذ الفتوى الجاهزة ، أو الرأي المبني على النظر والاجتهاد، أو حتى ترجيح الروايات فلم يرد لغير المعصوم ، وسأزودك بالتفصيل حال الكلام حول أدلة نقض التقليد .

■ أما قوله (رواة حديثنا) ، فإن الرواة هنا هم الفقهاء ، الذي يفقهون الحديث ، لا مجرد النقلة ، فرب ناقل فقه إلى من هو أفقه منه ، فما تقول أنت ؟.

– أولاً : التعبير برواة الحديث يشعر أن المادة الأساس لمعرفتهم الدينية تقوم على رواية الحديث ، وإن ما يصدر عنهم من أجوبة ومواقف بشأن الحوادث الواقعة إنما هي روايات عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وعلى هذا كيف يشمل هذا المقطع من يستعمل الفلسفة والنظر والرأي والقياس في فتاواه، ومن يعطي للعوام أحكاماً وفتاوى جاهزة دون رواية الجواب عن الإمام (عليه السلام) ؟؟ وثانياً : قلنا إن السيرة في الرجوع ، هو لأخذ الرواية ، وسماع الحديث، وسيأتيك تفصيله كما أوردنا سابقاً .

■ وقوله (فإنهم حجتي عليكم) ؟

– هذا المقطع مهم جداً ، وهو من القرائن الداخلية أن المقصود بالحوادث جملة الحوادث الواقعة في ذلك الزمان ، فإن فقهاءكم اليوم يرون حجية قول الفقيه بالنسبة للعامي ، وقول الفقيه خليط من رواية ورأي ونظر واجتهاد وأصول عملية وما شاكل ، وقد يختلف فقيه مع

فقيه آخر بالنظر والرأي والاجتهاد ، فهل كل هذه الآراء تكون حجة أمام الله تعالى ؟؟!! متى كانت الحجية تابعة لنظر الفقيه ؟! ومتى كانت الحجية متغيرة من زمان لآخر ؟؟! هل صار دين الله تعالى هو التابع ، ورأي الفقيه ونظره هو المتبوع ؟!! لقد انقلبت الموازين إذن !

■ الاختلاف موجود حتى عند المحدثين ؟ ألم يختلف الصدوق مع الكليني ؟ أما عندنا فمع حصول الاختلاف نرجح قول الأعلم بين المجتهدين ؟

– الاختلاف إن كان منشؤه الرواية فلا ضير فيه ، فأهل البيت (عليهم السلام) يصرحون أن في اخبارهم اختلافاً بعضه مقصود من فعل الأئمة لأغراض التقية وحفظ الشيعة ، وأما الاختلاف الذي منشؤه الرأي والنظر فهذا مذموم بالتبع ، أي لكون الرأي والنظر مذمومين في نفسيهما ، وأما مسألة الأعلم فهي في قضية خلافية ، ولم تظهر للجدل إلا في أعصار متأخرة ، وأدلتها المزعومة محط نقاش كبير ، ويكفيك أن السيد الخوئي قال عن مسألة تقليد الأعلم في كتاب الاجتهاد والتقليد من تقريرات الشيخ علي الغروي ج١ شرح ص٢٠٤ : «الحكم بوجوب تقليد الأعلم لم يرد في شئ من الأدلة اللفظية»، والمقصود بالأدلة اللفظية الكتاب والسنة، ويقول السيد محمد تقي الحيدري في كتابه (أصول الاستنباط) ص٢٧٩ : «إنا لم نر عيناً ولا أثراً من ذكر الأعلمية في الأخبار ...» .

■ جيد ... إذن ما خلاصة قولك في باب الحجية ؟

– أحسنت ، الحجية إنما جعلت في النصوص الشريفة لرواية الراوي عن أهل البيت (عليهم السلام) ، فأصل الحجة هو قول المعصوم (عليه السلام) ، وإنما صارت الرواية حجة لأنها حاكية عن قول المعصوم أو ما يصدر عنه من بيان لأحكام الشريعة ، ولا يوجد عندنا في النصوص إعطاء الحجية لترجيحات الراوي فضلاً عن نظره أو اجتهاده ، ولو جئنا لتاريخ الغيبة الصغرى فإن سفراء الإمام المهدي (عليه السلام) ومن كان يعمل معهم من الوكلاء كانوا حجة الإمام على الشيعة لما ينقلونه من أخبار وتواقيع عن الإمام المهدي ، وعن آبائه الطاهرين (عليهم السلام) ، وكمثال على ذلك أنقل لك هذه الرواية عن الشيخ الصدوق من علل الشرائع ، التي توضح طريقة التعامل بين الشيعة وبين سفراء الإمام المهدي (عليه السلام)، قال (رحمه الله) : حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال : كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) ، ثم ساق حديثاً أن رجلاً سأل السفير عن مسألة فأجابه عنها بجواب شافٍ ، يقول الراوي محمد بن إبراهيم بن إسحاق : فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) من الغد وأنا أقول في نفسي : أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأني فقال لي : «يا محمد بن إبراهيم ، لأن أخرَّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبُّ إلي من أن أقول في دين الله تعالى ذكره برأيي ، ومن عند نفسي ، بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله

وسلامه عليه»[1] ، فإن السفير كان يتمتع بصلاحيات واسعة من حيث التعامل مع الشيعة ، ورعايتهم ، وحمايتهم ، وتنسيق التواصل بينهم وبين الإمام المهدي (عليه السلام) ، ومع ذلك لم يجز لنفسه أن يجيب السائل وفق نظره ، واجتهاده ، وإنما كان يروي له ما سمعه من الإمام (صلوات الله عليه) ، فمناط الحجية هو السماع عن الأئمة (عليهم السلام) ، او نقل رواياتهم ، وليس نظر الفقيه ورأيه .

■ يعني تريد أن تقول إن الحوادث الواقعة مقصود بها حوادث الغيبة الصغرى ؟

– نعم ، أغلب القرائن ، من داخل النص وخارجه ، تشير إلى هذه الحقيقة، وحتى لو كانت شاملة لحوادث الغيبتين، فإن الرجوع للرواة إنما هو لأخذ الحديث، قال الفيض الكاشاني (رحمه الله) : « وبالجملة قد أذنوا في الأخذ بالأخبار والكتب بالتسليم والانقياد ولم يأذنوا في الأخذ بالآراء والاجتهاد بل نهوا عنه فليس لنا إلا الاتباع والاقتصار على السماع من دون ابتغاء الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»[2] .

■ هناك نصوص روائية أضعف سنداً ، وأقل أهمية من حيث الدلالة ، وانا شخصياً غير مقتنع بها ، لذا اقتصر بحثي معك عن هذين الحديثين .

---

١ علل الشرائع ١\٢٤٣ ، وفي هذا دليل على اطلاع السفير على المغيبات ؛ فإن له منزلة عظيمة ليست لغيره من الناس ، وهو يستحق مقام (حجتي عليكم) ..
٢ الحق المبين ص١٠ .

– سأزيدك من الشعر بيتاً ، جملة من المحققين الأصوليين صرحوا باعترافات خطيرة أن مفهوم التقليد غير وارد في الروايات الشريفة !

■ كيف يكون غير وارد وهذه كتبهم تستدل بمجموعة من النصوص ؟

– نعم ، هم يذكرونها ، ويناقشونها ، وكلامهم هذا يدل أنهم حتى لو ذكرها في ضمن أدلتهم إلا أنها لم تشكل عمدة الاستدلال عندهم ، يقول السيد الخوئي : «إن التكلم في مفهوم التقليد لا يكاد أن يترتب عليه ثمرة فقهية ، اللهم إلا في الندر . وذلك لعدم وروده في شئ من الروايات ...»[١] . ، ويقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين : «الفحص في السنة الشريفة يكشف عن إن هذا المصطلح بمادته وهيئاته أم يرد له ذكر في أدلة حجية الفتوى ، وشرعية إتباع المستفتي للمفتي ، كما لم يرد في دليل معتبر آخر»[٢]، ويخلص شمس الدين إلى القول : «إذن ، فمصطلح التقليد ليس عنواناً من العناوين الثابتة في أصل الشرع ليكون تشخيص المراد به ومنه دخيلاً في تشخيص الموضوع الشرعي للحكم أو الحكم الشرعي ، ... بل هو مصطلح استحدثه الفقهاء والأصوليون الإمامية من فقهاء المذاهب الأخرى ، وجعلوه مصطلحاً على إتباع

---

١ كتاب الاجتهاد والتقليد– ج١ شرح ص٨١ دار أنصاريان للطباعة والنشر – تقرير بحث السيد الخوئي (رحمه الله) للشيخ علي الغروي .

٢ كتاب الاجتهاد والتقليد للشيخ محمد مهدي شمس الدين ، ص ١٨٢ في باب مصطلح التقليد في الأدلة الشرعية .

الفقيه في العمل على وفق رأيه في أحكام الشريعة» [1] ، ويقول السيد الخميني : «المعروف أن عمدة دليل وجوب التقليد هو ارتكاز العقلاء ، فإنه من فطريات العقول رجوع كل جاهل إلى العالم ، ورجوع كل محتاج في صنعة وفن إلى الخبير بهما ، فإذا كان بناء العقلاء ذلك ، ولم يرد ردع من الشارع عنه ، يستكشف أنه مجاز ومرضي» [2] .

■ عجيب، هؤلاء كلهم يصرحون أن التقليد غير وارد في النصوص الشريفة، وإن عمدة أدلته هو بناء العقلاء ؟!

– ليس فقط هؤلاء أخي، كثير من المحققين ذهب إلى ذلك، منهم الآخوند الخراساني صاحب الكفاية، يقول : «لا يذهب عليك أن جواز التقليد ورجوع الجاهل إلى العالم في الجملة ، يكون بديهياً جبلياً فطرياً لا يحتاج إلى دليل ، وإلا لزم سد باب العلم به على العامي مطلقاً غالباً ، لعجزه عن معرفة ما دل عليه كتابا وسنة ، ولا يجوز التقليد فيه أيضاً ، وإلا لدار أو تسلسل ، بل هذه هي العمدة في أدلته ، وأغلب ما عداه قابل للمناقشة ، لبعد تحصيل الاجماع في مثل هذه المسألة ، مما يمكن أن يكون القول فيه لأجل كونه من الأمور الفطرية الارتكازية ، والمنقول منه غير حجة في مثلها ، ولو قيل بحجيتها في غيرها ، لوهنه بذلك . ومنه قد انقدح إمكان القدح في دعوى كونه من ضروريات الدين ، لاحتمال أن يكون من ضروريات العقل وفطرياته لا من ضرورياته» [3] ،

---

١ كتاب الاجتهاد والتقليد للشيخ محمد مهدي شمس الدين ، ص١٨٣.

[2] الاجتهاد والتقليد ، السيد الخميني ، ص٦٣ .

[3] كفاية الأصول ص٤٧٢ ، ص٦٣ .

ويقول الشيخ ضياء الدين العراقي : «الدليل الارتكازي هو العمدة في المستند لوجوب أصل التقليد والا فما عداه من الأدلة الشرعية قابل للمناقشة»[١] .

■ أشكرك أخ (علي) على هذا الإسهاب والتفصيل ، واسمح لي أن أتوقف إلى هذا الحد في مناقشة الدليل الروائي ، سأراجع كل ما قلتَه وتناقشنا حوله ، وأوافيك بالنتيجة إن شاء الله تعالى ، لننتقل بعدها إلى الدليل العقلي .

– إن شاء الله ، وفقنا الله وإياكم لكل خير .

تركت بيت صديقي (علي) بعد جولة متعبة من الحوار ، أخذت أمشي على جانب الطريق على تؤدة ، أفكر في جملة النقوض التي أوردها صاحبي على الأدلة الروائية ، وكيف خرجتُ من الحوار خالي الوفاض ؟! ولماذا تبدو حجج هذا الرجل ومناقشاته أقوى مني بكثير ؟! هل يعود ذلك إلى نقص في الثقافة الحديثية عند الشيعة المقلدين ؟! أم إنه منطق العلم والبحث الموضوعي عند الشيعة المحدثين ؟؟! لماذا تصر المدرسة الأصولية على تصدير بعض الأحاديث في واجهات الدعاية الإعلامية لموضوعة التقليد مع انها تعلم أن هذه الأحاديث إما ضعيفة ، أو موجودة في أصول موضوعة ، أو ناقصة الدلالة ؟؟! كيف نتوقع من علماء أجلاء قضوا حياتهم في البحث والتدريس أن يقدموا على عملية (تدليس) كبرى استغفلت الملايين من الحالة الشيعية مدة

---

[١] نهاية الأفكار ٤\٢٤٢ .

ليست بالقصيرة من الزمن ؟؟! كيف ... لماذا ... هل ... لماذا ... كيف ... ؟؟! أخذت هذه الأسئلة تتكرر في رأسي ، حتى شعرت بصداع كبير ، وقفت في الشارع ولوحت بيدي إلى سيارة أجرة كي توصلني إلى البيت ، وصلت إلى البيت وعيناي منتفختان من التعب وكثرة التفكير وتأخر الوقت في الليل ، كان والدي بانتظاري ، فقد كاد الليل أن ينتصف ، ما إن دخلت حتى نظر إليَّ بوجه شاحب ، ورمقني بالتفاتة أب حنون وقال : «أين كنتَ يا ولدي ، لم أستطع النوم من أجلك ، فقد كنتُ قلقاً عليك؟» ، أدرت رأسي نحوه بهدوء ، أخذتُ نفساً عميقاً ثم قلتُ : «آسف يا والدي ، لقد كنت أتذاكر مع صديقي بعض المواضيع وأخذنا الوقت ، أنا متعب جداً ، أستأذنك للذهاب إلى النوم» ، قلت هذا الكلام وأنا أهمّ بصعود إلى السلم ، دخلت إلى غرفتي ، غيرت ملابسي على عجل ، ثم أسلمت نفسي إلى نوم عميق لم أستيقظ معه إلا على صوت أذان الفجر .

عملية البحث والتحقيق

لحسن الحظ كان يوم الغد عطلة رسمية ، وضعت لنفسي جدولاً زمنياً لترتيب أولويات القراءة ، وتوزيع الوقت بين البحث الأكاديمي ، والبحث العقائدي ، قررت أن أراجع المصادر التي أخذ منها الأخ (علي) معلوماته ، لغرض التأكد بنفسي ، ومراجعة النصوص بدقة ، تحاشياً أن يكون هذا الرجل قد دلس علي في شيء ، أو نقل غير

الحقيقة ، أو ربما اشتبه عليه قول ما أو نص ما ، وكذلك قررت أن أستقصي – قدر ما أستطيع – ردود الأصوليين المسطورة في كتبهم ، لعلي أجد أجوبة على الإيرادات والنقوض التي جاء بها الأخ (علي) .

استمر البحث نصف نهار بأكمله ، دونت ما وصلت إليه من نتائج ، وبعض الإشكالات ، ومجموعة من الأسئلة ، وكانت النتائج تصب في مصلحة الأخ (علي) ، فقد كان دقيقاً في نقله ، مصيباً في كثير من تحليلاته للنصوص ، وقد وجدت نصوصاُ واعترافات أخرى لعلماء الشيعة تؤيد ما ذهب إليه من إشكالات سندية ومتنية على الأحاديث ، أو نقاشات في دلالة الآيات القرآنية كآية النفر وآية سؤال أهل الذكر ، أما إشكالاتي فكان أهمها أني كنت شديد الحب لمراجع الدين ، كيف لا وقد تربيت بين أحضان المدارس الدينية في النجف ، واستقيت ثقافتي من معين هذه الحوزة ، ولا أستطيع أن أتقبل فكرة أن هؤلاء يمكن أن يخونوا الأمانة ويدلسوا على الناس دينهم ، أو أن يقولوا في دين الله بأهوائهم ، او يحكموا بغير ما أنزل الله تعالى ، والإشكال الآخر أن صاحبي لم يقدم لي بديلاً مقنعاً عن التقليد ، فمراجعة كتب الحديث ليس بالأمر الهين ، أضف إلى ذلك لم أسمع مناقشته بشأن الدليل العقلي ، فضلاً عن مواضيع مهمة أخرى ذات علاقة كالتفسير ونقد الحديث وما شابه .

اتصلت بالشيخ (صلاح) وطلبت منه موعداً مستعجلاً كي أطرح عليه ما عندي من تساؤلات ، وأعرض عليه خلاصة الحوار الذي دار

بيني وبين صديقي (علي) ، وما إن أغلقت سماعة الهاتف حتى فتحت بريدي الإلكتروني فوجدت أن أحد مكاتب المراجع قد بعث بجواب عن أسئلتي التي كنت سابقاً أرسلتها إليه، ولكني فوجئت أن ذلك الجواب كان يصب في خانة "تمييع العقل الشيعي" إذ يقول في نص جوابه عن سؤال حول أدلة التقليد : «إذا كنتَ مجتهداً فلا ينفعك دليل غيرك، وإن كنتَ مقلداً فعليك أن تعمل بفتوى مقلَّدك»[١] ، شعرت بإحباط كبير بسبب هذا الكلام البائس، لكني تماسكت بعض الشيء لأكمل طريق البحث عن الحقيقة الضائعة .

كان الموعد مع الشيخ صلاح بعد صلاة العشاء في منزل الشيخ (صلاح) ، حملت ما استطعت حمله من الكتب والأوراق ، وذهبت إلى منزله الذي كان قريباً من منزلي ، جلست على طاولة الحوار ، وضعت أمامي أوراق البحث ، نظرت إلى الشيخ صلاح الذي كان يرمقني بنظرات متوجسة ، لا يعلم أين وصلت في صراعي مع الحقيقة ، أمسكت بالأوراق التي كتبت بها خلاصة بحثي ثم وضعت عيني في عيني الشيخ صلاح ، وقلت له :

■ تبين لي من خلال البحث وجود إشكالات كثيرة على أدلة التقليد ، القرآنية والروائية ، نقاش طويل في دلالة النص القرآني ، وما ورد في تفسيره ، وفي ثبوت النص الروائي ودلالته .

---

١ هذا الكلام ورد في جواب لأحد مراجع النجف الكبار عن استفتاء أرسله بعض الأخوة .

– بسام ... بدخولك بحر البحوث الاستدلالية تكون قد رميت نفسك في دوامة لا أعرف كيف ستخرج منها ، أنصحك أن تتوقف ، فالبحث أكبر منك .

■ أتوقف عن ماذا ؟! هل تريدني أن أعيش أعمى ، وأموت أعمى ، وأحشر أعمى ؟ والله تعالى يقول : {وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً }الإسراء٧٢ ، ويقول جلَّ وعلا : {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }الرعد١٩، هل تريدني أن أبني عقيدتي على نصوص قرآنية حمالة لوجوه ، وعلى روايات يصرح علماؤنا أنها ضعيفة السند ، ناقصة الدلالة ؟! ألم تقرأ القرآن الكريم وهو يدعونا للتعقل ، والتدبر ، ونبذ الموروث الفاسد للآباء ا؟! هل تريدني أن ألقى الله تعالى ولساني يتلجلج من ضعف الحجة ، وقلة البرهان ؟! هل ستنفعني أنت وغيرك يوم القيامة ؟؟!!

– على مهلك يا صديقي ، أنا ما قلت ذلك إلا من أجلك ، أنت لست من أهل الاختصاص ، اترك البحوث الروائية والقرآنية ، وأذهب للبحث العقلي ، لقد جرت السيرة العقلائية على رجوع غير المتخصص إلى المتخصص ، أنت بنفسك لو تمرضت لذهبت إلى الطبيب دون سابق نظر وتفكر ، لأن الارتكاز القائم في نفسك على أنك جاهل في الطب ، ولا بد لك من عالم تقبل قوله في مجال اختصاصه ، وهذا الأمر سيال يشمل الفقه كما الطب يا عزيزي .

■ أنا لم أناقش المبحث العقلي بعدُ ، انتهيت في البحث والحوار عند الأدلة القرآنية والروائية ، وقد وجدت أن المحدثين قد أسقطوا بالمنهج العلمي كل أدلة التقليد من القرآن والسنة ، وإن حججهم قوية في ذلك ، وقد اعترف علماؤنا بجملة من تلك الإشكالات ، هذا فضلاً عن وجود أدلة روائية كثيرة قال صديقي إنها تردع عن التقليد ردعاً شديداً .

– قلت لك إن هذا الرجل منحرف وعليك أن تقطع علاقتك به ، هؤلاء يستعملون الكلام المنمق ليدسوا السم في العسل .

■ لن أقطع علاقتي به ما لم أتبين ، بالحجة والدليل ، صدقه من كذبه ؟

– وهل انت مؤهل للنظر في الدليل ؟ يا أخي اترك الدليل لأهل الاختصاص ؟!

■ يعني تريدني أن أجمد عقلي وأعبد الله تعالى ضالاً بلا حجة !!..

– قصدي أنك تثق بالعلماء ، وهم بررة أتقياء ، وتعويلك عليهم كافٍ في نجاتك إن شاء الله .

■ لا زلت أحترم هؤلاء العلماء ، وأثق بهم ، كيف ونور العلم يشع من وجوههم ، ولكني لا أملك غض النظر عن الشبهات .

– لا تكن فريسة للشبهات ! اسحقها بالإهمال والإغفال !

■ بل سأسحقها بالحجة والبرهان ، بالدليل ، والآية ، والرواية ، أستأذنك شيخي ، عندي عمل طويل ينبغي أن أقوم به .

خرجت من عند الشيخ (صلاح) هائماً على وجهي من شدة الحيرة ، فالشيخ صلاح الذي كان قبل هذا الوقت معلماً ومرشداً ، صار اليوم يتحدث بلغة تسطيحية تستخف بعقول الناس ، ولم يستطع أن يدخل في مضمار البحث لينفد أدلة المحدثين ... يبدو أن عليّ أن أواجه هذا الموج الهائج بمفردي ، ما أثقل أعباء المسؤولية ! وما أشد وطأة المواجهة مع الذات ! كيف سأتخلص من قيود الحوزة التي تربطني بها أواصر الطفولة ، والثقافة المشتركة ، والعرف الاجتماعي ، والموروث المذهبي ؟!

نقض الأدلة العقلية للتقليد

أجريت اتصالاً هاتفياً مع صديقي (علي) لترتيب لقاء آخر حول مناقشة الدليل العقلي للتقليد ، فقد كانت الأهواء والأفكار تتصارع في نفسي ، وصار من اللازم أن أحسم هذه الجدلية بروحية الاندفاع العلمي ، ولكن السير عكس التيار سيكون عاملاً محدداً آخر ربما يُنتج ارتدادات نفسية تصرع الحقيقة الوليدة في مهدها ، إن هذه المرحلة إما أن تكون بداية مخاض جديد ، سيكون طويلاً وعسيراً ، أو تكون غمامة صيف أتت بها رياح الشبهات ، وفرقتها رصانة الطرح العلمي في الحوزة العلمية ذات الألف عام .

كان الاجتماع الثاني في بيت (علي) أيضاً ، هيأتُ مجموعة من الإشكالات القوية للاستعانة بها في تخفيف وطأة النقاش عن كاهلي ،

كنت في هذا الحوار مصراً أن أتقمص دور المحاور العلمي الجَلْد ، وأن أحافظ على مستوى الندية في الطرح ، بحيث يكون النقض والإبرام باتجاهين لا باتجاه واحد (أي نحوي دائماً) .

كان الأخ (علي) يستشعر في نفسه حجم المعاناة التي كنت أكابدها ، ولذلك قرر أن يخفف الوطأة عليّ ، وأن يبتدأ الحوار بالجملة الآتية :

– لا عليك يا أخ بسام ، لقد كنتُ مثلك في هذه المرحلة أشعر بالضياع ، وفقدان الانتماء ، وكان الموروث الاجتماعي ، وهالة تقديس الأسماء والعناوين والصور تحجب الرؤيا الصحيحة عن عين البصيرة عندي ، ولكن العلم نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء ، وصدقني يا أخي، إذا أَذِنَ الله تعالى لنور العلم أن يشع من قلبك، فلن تقف أمامه كل هذه العوائق، وسوف يغطي على كل الأنوار المزيفة، بحيث تستشعر فيها ظلمة مجردة عن كل نور .

■ لكني لا زلت أشعر بالانتماء إلى هذه الحوزة التي نشأت معها ، وكبرت معها ، إنها ما زالت برأيي حصن الشيعة ، وكهف المؤمنين ، والتفريط بها تفريط بالدين والعقيدة .

– لا أريد أن أفرض عليك مقدمات البحث ، ولا نتيجة البحث ، المهم عندي أنك الآن في مرحلة البحث عن الحقيقة ، وهذا يكفي .

■ إذن اسمح لي ان أبدأ موضوع الأدلة العقلية لوجوب التقليد على العوام .

- تفضل، بارك الله بك .

■ أنت تعلم أن معرفة الأحكام الفقهية متوقف على تحصيل مجموعة من المقدمات والعلوم ، التي لا يمكن بدونها استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن هذه الأدوات علوم اللغة ، وأصول الفقه ، والتاريخ ، والتفسير ، وعلم الرجال والحديث ، وربما نضيف إليها المنطق والفلسفة ، وهي علوم تحتاج من المكلف استعداداً ذهنياً ، وقضاء وقت طويل بالدرس والمذاكرة .. فلو فرضنا أننا أوجبنا على كل مكلف دراسة مثل هذه العلوم والمقدمات للوصول إلى ملكة استنباط الأحكام فهذا معناه تعطيل المجتمع من جهة ، وتكليف الناس بالحرج والمشقة من جهة أخرى ، ولاسيما بالنسبة لفئات مهمة في المجتمع كالكاسب والموظف والشرطي وكذا الرجل الكبير وربة البيت ... والفقه شأنه شان بقية العلوم يرجع فيه غير المتخصص إلى المتخصص ، وكمثال على ذلك ....

- رجوع المريض إلى الطبيب ... أليس كذلك ؟!

■ نعم ، وما أدراك أني سأقول هذا المثال ؟؟!

- هذا هو المثال التقليدي الذي تصدعت به رؤوسنا لكثرة ما نسمعه ونقرأه في الكتب والصحف والنشرات !! هذا المثال اسطوانة محترقة تشغلها المدرسة الأصولية كلما أرادت التسويق لبضاعتها الكاسدة ؛ لأنها تعلم أن الحالة الشيعية لا تمتلك حق النقد ، ولن يكون

هذا المثال خاضعاً لمنهجية التمحيص حتى ينكشف ضعفه وعدم أهليته للاستدلال .

■ ولكنه مثال دقيق ، فكما أن الطب علاج للبدن ، فإن الفقه علاج للروح، وكما نرجع للطبيب للاستشفاء، فإننا نرجع للفقيه لمعرفة الأحكام .

– سأوضح لك زيف هذه المقايسة بعد أن تكمل ما بدأته من كلامك حول الدليل العقلي .

■ جيد ، انا أردت أن أقول إن السيرة العقلائية من زمان المعصومين إلى يومنا هذا قائمة على رجوع الجاهل إلى العالم ، وغير المتخصص إلى المتخصص ، ولا يوجد ردع من الشارع المقدس ، بل الادلة الروائية تؤيد هذه السيرة ، فقد أمر الإمام الصادق (عليه السلام) صاحبه أبان بن تغلب أن يجلس في المسجد ويفتي الناس ، وأمر أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم بالرجوع إلى فقهاء الأصحاب كمحمد بن مسلم ويونس بن عبد الرحمن وعبد العظيم الحسني وأمثالهم ، وما ذلك إلا إمضاء وتأكيد على جريان هذه السيرة في موارد الأحكام الشرعية .

– في البداية أقول إن كلامك كان مبنياً على جملة من المقدمات التي لا نسلم بصحتها ، وهي محل جدل بيننا وبينكم ، كعلم الأصول ، والتفسير ، وعلم الرجال ، وأضف إليها الفلسفة والمنطق ، ولهذا أقول : إن الثابت من العلوم التي ينبغي على كل مكلف أن يتعلمها هي علوم اللغة العربية ، لقول الإمام الصادق (عليه السلام) : «**تعلموا العربية**

فإنها كلام الله الذي كلم به خلقه»[1] ، أي الحد الأدنى الذي يمكّن المؤمن من فهم النصوص ومعرفة الاستعمالات اللغوية في عصر النص ، والأمر الآخر هو قراءة حديث اهل البيت (عليهم السلام) ، وأخذه عن ثقات المحدثين من سلفنا الصالح كأمثال ثقة الإسلامي الكليني ، والشيخ الصدوق ، وابن قولويه ، الشيخ الصفار ، والقمي ، والبرقي ، والنعماني ، والطوسي وغيرهم ، وينبغي أيضاً دراسة تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) ، والاطلاع على سيرتهم وسيرة أصحابهم ، ومن المهم أيضاً دراسة القرآن الكريم والتدبر في آياته مع الحذر من الانزلاق إلى تفسير القرآن دون الرجوع للروايات ، فإنه من التفسير بالرأي الذي نهى عنه الأئمة (عليهم السلام) .

■ كيف أسقطت علم الأصول وعلم الرجال ، وهما العمدة في أدوات الاستنباط ؟؟!!

– أما علم الأصول ، فإن صنيعة الفكر المخالف ، باعتراف علماء الشيعة ، وهو علم متكون من مجموعة من القواعد التي وضعها أصحابها واختلفوا فيها أشد الاختلاف ! فسبحان الله ، كيف تكون القواعد التي وضعها الناس واختلفوا فيها أصولاً لبناء الأحكام الشرعية ، ومباني للتأصيل والتفريع في الدين ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟؟!!

■ وما دليلك أن علم الأصول نشأ في أحضان المخالفين؟

---

[1] وسائل الشيعة ٦\٢٢٠ .

– تصريحات علمائك ومراجعك، يقول السيد محمد باقر الصدر :
«إن التأريخ يشير إلى أن علم الأصول ترعرع وازدهر نسبيا في نطاق الفقه السني قبل ترعرعه وازدهاره في نطاقنا الفقهي الامامي ، حتى إنه يقال : إن علم الأصول على الصعيد السني دخل في دور التصنيف في أواخر القرن الثاني ، إذ ألف في الأصول كل من الشافعي المتوفى سنة (١٨٢) ﻫ ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (١٨٩) ﻫ بينما قد لا نجد التصنيف الواسع في علم الأصول على الصعيد الشيعي إلا في أعقاب الغيبة الصغرى أي في مطلع القرن الرابع بالرغم من وجود رسائل سابقة لبعض أصحاب الأئمة (عليهم السلام) في مواضيع أصولية متفرقة» – المعالم الجديدة للأصول ص٥٤ .

■ سبحان الله، وعلم الرجال ؟؟

– هذا أسوأ من صاحبه !! فهو فضلاً عن كونه وليداً مشبوهاً في أحضان المدرسة المخالفة لأهل البيت (عليهم السلام)، وكونه يضم قواعد هلامية لا تجد بين المحققين إجماعاً واحداً على قاعدة منها !! كان هذا العلم المزعوم سيفاً مسلطاً على رقبة الروايات ، يستعمله الفقيه متى ما أراد ، ويتركه حينما يرغب ويشتهي ، لأنه متكون من قواعد سيالة تتشكل كالطين بهيئات متعددة ، وقد أدى إلى نفوذ البعض للطعن في الروايات وإسقاطها عن مدار الاحتجاج .

■ إذن كيف نميز الروايات الصحيحة من السقيمة بدون علم الرجال ؟!

– بالنقد المتني ..

■ وما النقد المتني ؟!

– لا تستعجل ، سأوافيك بتفاصيله عند الحديث عن عقيدة المحدثين في فهم الدين وتعلم الأحكام ، ولكن علينا الآن العودة إلى صلب البحث حول الدليل العقلي أو ما يسمى بالسيرة العقلائية .

■ نعم ، تفضل .

– نبدأ بإجابة السؤال الآتي : هل السيرة العقلائية دليل شرعي معتبر في نفسه ؟!!

■ ماذا تقول أنت ؟

– إن هذه السيرة حتى تثبت شرعاً ، فعلينا ان نثبت قاعدة الملازمة .

■ تقصد قاعدة (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع) .

– نعم ، هذه القاعدة هي الأساس في كل القواعد الأصولية في علم الأصول ، بل هي الأساس في غالبية عمل الفقيه فيما يتعلق بتأصيل القواعد أو بتفريع المسائل ، وهي قاعدة – على أهميتها – لا تجد لها ذكراً في الأدلة اللفظية (أقصد القرآن وروايات العترة الطاهرة) ! بل الموجود على خلافها !

■ الشارع هو أول العقلاء ، بل رئيسهم ، وعندما نقول حكم العقل ، يعني إجماع العقلاء ، وبذلك يدخل الشرع في جملتهم ، فكل ما حكم به العقل من هذه الجهة فقد حكم به الشرع .

- وكيف تثبت أن ما يحكم به الفقيه من حكم عقلي ، هو حكم بإجماع العقلاء ؟؟! بحيث يدخل الشرع من ضمنهم ؟؟! والحال ان مثل هذا الحكم يحتاج إلى عقل كامل (معصوم) لا تطرأ عليه الأوهام ، ولا تخفى عليه دقائق الأمور حتى نستطيع ان نقول إن الشرع يحكم بهذا ؟؟! وهذا الأمر نقر بثبوته للمعصومين (عليهم السلام) ، اما ثبوته للفقهاء ، على اختلاف اهوائهم ، وكثرة آرائهم ، وتصارع أوهامهم ، ودوام أخطائهم ، فهذا أمر دون إثباته خرط القتاد ! بدليل أنك تجد اختلافهم في الحكم الواحد ، ولو كانت أحكامهم بإجماع العقلاء لما تناقضوا ، ولما اختلفوا في حكم العقل ، ولذلك روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال : «**إن دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة ، ولا يصاب إلا بالتسليم ، فمن سلّم لنا سلم ، ومن اقتدى بنا هُدي ، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم**»[1] .

■ يا أخي التوحيد لم يثبت إلا بحجية العقل ، والقرآن والنبوة والإمامة ، كلها ثبتت بحجية العقل ، وروايات أهل البيت (عليهم السلام) في أصول الكافي صريحة في استعمال العقل ، أو توظيفه في الاستدلال على جملة من الأمور الاعتقادية ، فإذا ألغينا حجية العقل ،

---

١ كمال الدين ص٣٢٤ .

فقد ألغينا جملة العقائد التي تثبت بالعقل أو بمنتجات العقل البشري ، وإذا ألغيتَ العقائد فقد ألغيتَ الدين ، ما لكم كيف تحكمون !

كنت منفعلاً قليلاً عندما تكلمت في مداخلتي الأخيرة ، ولهذا حاول (علي) أن يمتص غضبي بابتسامة خفيفة ، ثم قال بهدوء :

– كيف يثبت التوحيد بالعقل ؟

■ يعني إن ثبوت التوحيد لله تعالى يعتمد على جملة من المقدمات العقلية التي تقود إلى ضرورة وجود خالق ، حكيم ، عالم ، قادر ... الخ .

– وهل كان العقل البشري قادراً لوحده أن يوصل الناس إلى معرفة الله تعالى والإيمان بوحدانيته ؟! إن قلت نعم فقد لزمك أن تقول بوجوب الإيمان بالله تعالى على كل عاقل حتى من لم تصل إليه دعوة الأنبياء والرسل ، ومن لم يتلقَّ بياناً شافياً من الله تعالى عن طريق حججه في خلقه ، وإن قلت : لا ، فقد خصمت نفسك ، وثبت عدم كفاية العقل في إيجاب الإيمان بالتوحيد .

■ ولكن الأدلة التي تساق اليوم لإثبات توحيد الله تعالى هي أدلة عقلية بالكامل .

– أولاً : لا نسلم بهذه المقدمة ، فالآيات والروايات التي تحدثت عن التوحيد تعدُّ بالمئات إن لم نقل بالآلاف ، وثانياً : إن تلك المقدمات أو الأدلة العقلية التي تتحدث عنها إنما جاءت ببركة بيان الرسل والانبياء ، وما جاءت به كتب التوراة والإنجيل والقرآن العظيم من

تعريف الناس بالتوحيد ، ووضع حدوده ، ودعوة الناس إليه ، وقد وردت غالبية تلك الأدلة العقلية على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) ، فوظيفة الانبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام) تقتضي إرجاع الناس إلى فطرة التوحيد ، وتعليمهم الأصول الصحيحة في الاستدلال والتفكير من خلال إثارة دفائن العقول ، وتشذيبها عن درنات الأفكار ، وتنقيتها من الشوائب والأكدار ، وتحصينها من شبهات الملحدين والفلاسفة ، ومع فقدان البيان والمعرفة عن طريق الأنبياء والرسل والأئمة ، لم تكن منتجات هذا العقل إلا كعجينة دقيق ديفت بالسم الزعاف تقتل كل من يطعمها وتسوقه إلى الردى .

■ هل عندك روايات عن أهل البيت (عليهم السلام) تؤيد هذا الكلام ؟

– نعم ، بكل تأكيد ، سأسوق لك جملة من تلك النصوص الشريفة مع بيان مصادرها لتراجعها، منها :

* الكافي ١٦٣\١ : عن محمد بن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : المعرفة من صنع من هي ؟ قال : «**من صنع الله ، ليس للعباد فيها صنع**» .

* المصدر نفسه : عن حمزة بن محمد الطيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : " وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون " قال : «**حتى يعرفهم ما يرضيه**» .

* المصدر نفسه : عن حماد ، عن عبد الاعلى قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة ؟ قال : فقال : «**لا**» ، قلت : فهل كلفوا المعرفة ؟ قال : «**لا ، على الله البيان " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " " ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها** "» قال : وسألته عن قوله : " وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون " قال : «**حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه**» .

* المحاسن ٢٣٦\١ : عن النضر بن قرواش قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**إنما احتج الله على العباد بما آتاهم وعرفهم**» .

* علل الشرائع ١٢١\١ : عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سأله رجل فقال : «**لأي شئ بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس فقال : لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وليكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل : (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم إلا في ضلال كبير)**» .

* علل الشرائع ١٢١\١ : عن الصادق عليه السلام : «**إن الله عز وجل خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون أيمانا بشريعة ولا كفراً بجحود ثم ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى**

الإيمان بالله حجة الله عليهم فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهده»

.

■ أحسنت كثيراً، لكن الذي يحيرني أن قاعدة الملازمة تحظى بإجماع الأصوليين ، فكيف غفل كل هؤلاء عن مثل هذه النصوص ، وراحوا يؤسسون لقواعد كلية مبنية على خطأ وضلال؟ .

– هذه القاعدة لا تحظى بإجماع الأصوليين ؟

■ مستحيل ! هذه قاعدة كلية ، ومهمة جداً ، ولا يعقل أن يختلفوا فيها ؟!

– قلت لك مسبقاً إن علم الأصول عبارة عن قواعد وضعها أصحابها واختلفوا فيها ، ولا فرق في ذلك بين القواعد الكلية والتفصيلية ، ومن ذلك قاعدة الملازمة ، فقد أنكر الشيخ محمد حسين الحائري (ت١٢٥٠) إمكانية انطباقها بشكل كلي ، وناقش بعض الأدلة القرآنية التي سيقت للاستدلال عليها[١] ، يقول في كتابه (الفصول الغروية) : «إن هذه الآيات لا تساعد على إثبات الملازمة الكلية ، أما الآية الأولى فللمنع من كون المراد بالعدل ما يقابل القبيح بل ما يقابل الظلم ، .... وبهذا يظهر الكلام في بقية الآيات فإن المراد بالفحشاء والمنكر إن كان ما يختص بالقبيح المحرم كما هو الظاهر لم يتناول الآية حكم المكروه فلا يتم المقصود ، وإن كان ما يتناول المكروه فإن حمل النهي على

---

[١] منها قوله تعالى : {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }النحل٩٠ ، .

ظاهره من التحريم دل على خلاف المقصود ، وإن حمل على الأعم منه ومن الكراهة فمع عدم قرينة عليه لا يفيد المساواة بين حكم العقل والشرع كما هو المدعى ، مع أنها لا تفيد الحصر فيجوز تعلق النهي بغير القبيح للاختيار والامتحان وغير ذلك ، ومن هذا البيان يظهر الكلام في دلالة الآية الثانية والثالثة ، وأما الاستدلال بقوله تعالى (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فضعيف ؛ لأنه ظاهر في تحليل الطيب من المأكول والخبيث منه لا تحليل الفعل الحسن وتحريم الفعل القبيح ، ولو سلم فلا دلالة له على مساواة الحكم الشرعي للجهة العقلية .. »[1] ، وممن انكرها أيضاً الفاضل التوني (ت١٠٧١) الذي نفى إمكانية إثبات الحكم الشرعي وفق مبدأ التحسين والتقبيح العقلي ، قال : «هذه الطريقة : مبنية على الحسن والقبح العقليين . والحق ثبوتهما ، لقضاء الضرورة بهما في الجملة ، ولكن في إثبات الحكم الشرعي – كالوجوب والحرمة الشرعيين – بهما ، نظر وتأمل»[2] ، ومع بيان هذين العلمين ينخرم الإجماع المزعوم على ثبوت قاعدة الملازمة ، وقد قلنا عنها سابقاً أنها قاعدة لا تقوم على أدلة علمية من الكتاب والسنة ، فضلاً عن جملة الإشكالات والأدلة التي تنفي صحتها .

■ حتى لو سلمنا بما تقول ، فإننا لو رجعنا إلى محل البحث ، وهو دلالة السيرة العقلائية على التقليد ، فإن المستدلين بها إنما استفادوا

---

[1] الفصول الغروية ، ص٢٤١ .

[2] الوافية ١٧١ .

من إقرار الشارع لها ، وإمضائها لرجوع الجاهل إلى العالم ، وعليه لا يكون الاستدلال مبنياً على مرتكز العقلاء فحسب ، وإنما بضميمة السيرة المباركة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) .

– أحسنت ، ولذلك أنا جعلت البحث على مراحل ، المرحلة الأولى في نفي حجية السيرة العقلائية أو الارتكاز العقلائي في المسائل الشرعية إذا أُخذ كدليل مستقل عن الأدلة اللفظية أو أدلة السيرة ، وبعد أن انهينا هذه المرحلة وتطرقنا لعموم قاعدة الملازمة ، فإننا ننقل إلى المرحلة الثانية ، وهي نفي الصغرى كما يقول المناطقة ، أي نفي وجود سيرة عقلائية مطبقة على تقليد الجاهل للعالم في كل الفنون والعلوم ، ثم ننتقل إلى بيان ما أمضاه الأئمة من سيرة وطريقة في كيفية التعامل بين المتعلم والمعلم ، وتحصيل العلوم الشرعية ، ثم بعد ذلك سننتقل إلى أدلة نقض التقليد من الكتاب والسنة والعقل .

■ تفضل ، ابسط القول في هذه المراحل رحمك الله .

– أنهينا القول في المرحلة الأولى ، لذا نبدأ على بركة الله تعالى بالمرحلة الثانية ونقول : إنا لا نسلم أن السيرة العقلائية قائمة على التقليد التام المطبق لذوي الفنون والاختصاصات ؛ بحيث لا يحق مناقشة المتخصص في تخصصه ، ولاسيما لو كان غير المتخصص مثقفاً ، واعياً ، فلربما ناقش المريضُ الطبيبَ معترضاً على أسلوب العلاج (لو كانت للمريض أدنى ثقافة طبية) ، ولربما ناقش أحدنا المهندس في تصميمه وخرائطه مبدياً النقد والاعتراض على بعض

الأخطاء والهنات ، إذ لم يثبت أن تقليد المتخصص – دون تمحيص – يعد مسألة صحية في كل الحالات والأمثلة ، بل يستلزم محاذير السقوط في أوهام وأخطاء المقلَّد – بالفتح – ، والأمثلة على ذلك تفوق الحصر في مختلف الاختصاصات العلمية ، بل إن الأصوليين أنفسهم ينكرون على الفقهاء تقليد أهل اللغة والنحو في كثير من قواعدهم النحوية واللغوية ، ويدعون أن الواجب تمحيص هذه القواعد حتى لا يكون الحكم الشرعي تابعاً لأوهام وأخطاء النحاة وبقية المتخصصين في العلوم ذات المدخلية في الاستنباط ، على الرغم من أن الفقهاء لا يدعون الاجتهاد في علوم النحو واللغة ، ولكنهم يمنعون التقليد فيها ، يقول المحقق الحلي (ت٦٧٦) : «إنا نمنع الاحتجاج بقول النحاة ، لأنهم لا ينقلون ذلك نقلاً ، وإنما يدعون حصوله اجتهاداً وهم أهل قياس واستقراء ، فنحن نطالبهم بالدليل ..»[1] .

■ لكن الشائع ان المريض يأخذ الدواء من الطبيب دون تمحيص .

– إن مقايسة الطب بالفقه لا تصح من وجوه .

■ ما هي ؟ هل لك ان تذكرها رجاءً ؟

– سأذكرها لك على شكل نقاط :.

---

[1] الرسائل التسع ، ص١٣٦ .

[١] : إن الروايات صريحة بوجوب التفقه وطلب العلم الشرعي من خلال دراسة القرآن الكريم وتعلم روايات أهل البيت (عليهم السلام) ولم يرد هذا مثل الوجوب في الطب وغيره من العلوم الدنيوية .

[٢] : إن الطبيب في كثير من الحالات يعطي لمريضه الأدلة الطبية على تشخيصه (فتواه الطبية) ، فلو قال لك الطبيب إن ضغط الدم لديك مرتفع فإنه في الحال يعطيك الدليل من خلال (جهاز قياس ضغط الدم) ، أو لو قال لك أن مستوى سكر الدم أكثر من الحد الطبيعي فإن التحليل المختبري سيكون الدليل الطبي على هذه الفتوى الطبية ، أو لو قال لك إن لديك كسراً في العظم فإن (الأشعة) ستكون دليلاً قاطعاً على تشخيص الطبيب ، الحاصل : إن إعطاء الدليل الطبي ينفي صفة التقليد عن العلاقة بين الطبيب والمريض ؛ لأن التقليد هو الأخذ عن الغير دون دليل أو حجة .

[٣] : إن التقليد المطبق مذموم حتى في الطب ونحوه من العلوم ، ومن الشائع عندنا أن يراجع المريض أكثر من طبيب لكي يتأكد من صحة تشخيص المرض سيما عندما يكون المرض خطيراً ومهدداً لحياة المريض ، ولا نجد من العقلاء من يلومه على فعله هذا، ومن هنا تعرف إن مثال المريض مع الطبيب بعيد عن موضوعية الاستدلال ، وهو يساق دون تنقيح صحيح لوجوه العلاقة بينهما ، ومن خلال استعمال مقايسة خاطئة لا تأخذ بنظر الاعتبار اختلاف المواضيع بين الطب والفقه .

[٤] ولعل من اهم ما يبطل هذه المقايسة هو وجود نتيجة خارجية لعمل الطبيب وهي الشفاء او عدمه، يمكن للمريض على اساسها أن يحكم على صحة رجوعه لذلك الطبيب، فاذا حصل المريض على الشفاء فانه يحكم على رجوعه الى الطبيب الفلاني بانه رجوع صحيح، واذا لم يحصل على الشفاء واستمر به المرض فانه سيشعر أن رجوعه الى ذلك الطبيب لم يكن مصيباً .

■ الآن عليك أن تدلو بدلوك ، وتشرح لي ما تعتقد به أنت حول طريقة التفقه بالأحكام الشرعية ، وكيف يمكن أن تكون العلاقة بين طبقات المجتمع المختلفة بقدراتها المعرفية والمادية ، وكيف كانت سيرة الأصحاب في زمن حضور الأئمة (عليهم السلام) ، وفي الغيبة الصغرى ، وبداية الغيبة الكبرى ، وما العلوم التي ينبغي تعلمها على المكلف ، أسئلة ومحطات كثيرة بانتظارك يا أخ (علي) .

– إن شاء الله تعالى ، لكني متعب اليوم ، فأرجو أن نكمل حوارنا يوم غد .

■ لا مانع ، سأنتظرك بفارغ الصبر .

كانت هذه المرحلة تمتاز باللون الرمادي ، فلم تكن المعطيات واضحة عندي لتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، فالنقض العلمي ، والحجة القوية ، ووضوح الطرح سمات ميزت الخطاب العلمي لزميلي (علي) ، والمدرسة التي ينتمي إليها ، وهي مدرسة المُحَدِّثين ،

التي تدعي أنها الممثل الشرعي والوحيد لعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) وسيرتهم ؛ لأنها تتبنى العمل بروايات أهل البيت (عليهم السلام) ، دون التورط برأي او اجتهاد ، أي دون أي ملوثات أو سموم نفثتها مدارس النصب والانحراف عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) .

وفي المقابل ، كان الموروث الاجتماعي وهالة التقديس لمراجع الشيعة لا زالت حاجزاً مهماً يصعب معه أن أرى الحق بوضوح ، على الرغم من كثرة الصدمات والمفاجآت والاعترافات والتناقضات التي وجدتها في كلمات الأصوليين وتنظيراتهم ، ولهذا قررت أن أعيش بسبات فكري حتى يوم الاستماع للحجج التي سيقدمها الزميل (علي) أثناء شرحه لعقيدته وفهمه لسيرة أهل البيت (عليهم السلام) وطريقتهم .

طريقة التفقه الصحيحة

جاء يوم اللقاء المرتقب ، ذهبت بعد صلاة العشاء إلى بيت صديقي (علي) بناءً على اتفاق مسبق بيننا ، جلسنا على طاولة الحوار كالمعتاد ، وكان عند صديقي مجموعة أوراق كتب فيها – على ما يبدو– خلاصة البحوث التي قام بها حول موضوعة التقليد ، قررتُ أن أبدأ الحوار بقولي :

■ سأترك الحديث لك في هذه الليلة ، لأني أريد أن أسمع منك أطروحة بديلة عن كل ما قمتَ بنقضه من أطروحات الأصوليين .

– لكنك ينبغي أن تأخذ دور الناقد ، ليستبين لك صحيحُ الكلام من سقيمه .

■ على بركة الله تعالى .

– على بركة الله تعالى، إعلم أخي أن الأحاديث الشريفة عن الصادقين (عليهم السلام) قد اتفقت على وجوب التفقه في الدين على كل مؤمن ومؤمنة ، وجاءت الروايات بلسان التشديد والتحذير والإنذار والوعيد، لكل من تخلف عن أداء هذا الواجب المقدس والركن المهم في تكامل شخصية المؤمن ، فقد روى الشيخ الكليني عليه الرحمة (ت٣٢٩ هـ) بإسناده عن الثقة الجليل معاوية بن عمار[١] قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل ؟ قال : «**الرواية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد**»[٢] .

والروايات في هذا الباب كثيرة نورد منها ما يلي :

---

١ هو «معاوية بن عمار بن أبي معاوية خباب بن عبد الله الدُّهني ، كوفي ، كان وجهاً في أصحابنا ، ومقدماً ، كبير الشأن ، عظيم المحل ، ثقة ، ت ١٧٥ هـ» – النجاشي ص٤١١ .

٢ الكافي ٣٣/١ ، طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران .

١. عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (عليه السلام) : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ألا إن الله يحب بغاة العلم**»[1] .

٢. عن عيسى بن عبد الله العَمري ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**طلب العلم فريضة**» .

٣. عن أبي حمزة ، عن أبي إسحاق السبيعي عمن حدثه قال : سمعت أمير المؤمنين يقول : «**أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، إن المال مقسوم مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم ، وضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله ، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه**» .

٤. عن عثمان بن عيسى عن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**تفقهوا في الدين فإنه من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي إن الله يقول في كتابه :** ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾» .

٥. عن مفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً**» .

٦. محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله (عليه

---

[1] الأحاديث ١-٨ تجدها في الكافي : ١\٣٠-٣١ ، أما الأحاديث ٩-١٢ فتجدها في وسائل الشيعة ٢٧\٢٨-٢٩ .

السلام) قال : «**لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا**» .

٧. قال أبو عبد الله و أبو جعفر (عليهما السلام) : «**لو أتيتُ بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته ، قال : وكان أبو جعفر (عليه السلام) يقول : تفقهوا وإلا فأنتم أعراب**» .

٨. وعنه (عليه السلام) : «**لا يسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كان تقية**» .

٩. وعن محمد بن الحسين ، عن محمد بن عبد الله ، عن عيسى بن عبد الله عن (أحمد) بن علي بن أبي طالب رفعه قال : «**طلب العلم فريضة من فرائض الله**» .

١٠. عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي عبد الله رجل من أصحابنا ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» .

١١. الحسن بن محمد الطوسي في (الأمالي) عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضل ، عن الفضل بن محمد الشعراني ، عن أبي موسى المجاشعي ، عن محمد بن جعفر ، عن أبيه ، أبي عبد الله (عليه السلام) ، وعن المجاشعي ، عن الرضا ، عن آبائه عن علي (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**العالم بين الجهال كالحي بين الأموات** – إلى أن قال : – **فاطلبوا العلم فإنه**

السبب بينكم وبين الله عز وجل ، وإن طلب العلم لفريضة على كل مسلم» .

١٢. وعن الطوسي ، عن جماعة ، عن أبي المفضل ، عن جعفر بن محمد الحسيني ، عن محمد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن علي (عليهم السلام) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانه ، واقتبسوه من أهله»** .

■ أحسنت أخ علي ، لكن لفظة (العلم) هنا عامة ، فكيف خصصتها بعلوم الدين؟ .

– تخصيصه سهل جداً بدلالة بقية الأحاديث ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ التي تحدثت عن (التفقه في الدين) ، وعن (الأخذ عن الأئمة) ، وأن العلم هو السبب بين العباد وبين الله تعالى ، وبدلالة روايات كثيرة ستأتي فيما بعد يتضح منها حصرية العلم بأمور الدين ، سواء ما كان مرتبطاً بالعقائد ، أو الاحكام ، او الأخلاق ، أو التفسير أو غيرها ، والعجب كل العجب من العلامة الحلي كيف استنبط إن طلب العلم (مستحب) ولكنه (واجب كفائي) في حين أن الروايات قالت (فريضة) وقالت (على كل مسلم) والمسلم هنا بحسب الظاهر أعم من جنس الرجال والنساء كما لا يخفى على العالم باللغة ، ولفظ الكل يستوعب جميع الأفراد ، يقول الحلي : «ويستحب طلب العلم ، ويجب على الكفاية ، لقوله (عليه السلام) : « طلب العلم فريضة » . وقال (صلى

الله عليه وآله وسلم) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم » ...»[1] ، وذهب البعض منهم أن حديث (طلب العلم فريضة) مختص بالعقائد ، وهو كلام أيضاً ينقصه الدليل بل الدليل على خلافه كما سنرى إن شاء الله تعالى ، يقول الشيخ محمد حسين الأصفهاني : «.... كقوله (عليه السلام) : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ظاهر الاختصاص بالعقائد التي هي مطلوبة بذاتها من كل مسلم ومسلمة دون الأحكام العملية التي يختلف بحسبها الأنام»[2] ، ويقول السيد الخميني : «فإن مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، لا شبهة في عدم كون المراد منه ، أن جميع العلوم واجبة على جميع الناس ، فلا بد من إرادة كونه في الجملة من الفرائض ، ولعل المراد به هو العلم بأصول الدين»[3] .

■ الأصوليون أيضاً يقولون إن التفقه واجب ، لكن العامي عندهم يتفقه بتقليد فقيه جامع للشرائط .

– إن التفقه على طريقة الأصوليين إنما هو تفقه في نظر ورأي المجتهد !! وليس تفقهاً بحديث آل محمد (عليهم السلام) ، الذي ندبت إليه الروايات ، وحثت عليه ، وأوجبت العمل على تحقيقه ، فضلاً عن ذلك إن الرأي والنظر مذموم بالنسبة للمجتهد نفسه ، فكيف نجيز للعامي أن يقلد المجتهد فيه ؟!!.

---

١ تحرير الأحكام ١\٣٥ .
٢ حاشية المكاسب ٣\٤١٠ .
٣ كتاب البيع ٣\٥٨٩ .

■ أخ علي ، عليك أن تثبت هذا الكلام بالدليل، يعني إن التفقه الواجب هو التفقه بحديث أهل البيت (عليهم السلام) لا التفقه المعروف في زماننا بتعلم فتوى المجتهد .

– بخدمتكم ، أما وجوب التفقه بروايات أهل البيت (عليهم السلام) ، لا بنظر المجتهد ورأيه ، فهذا مما استفاضت به النصوص الشريفة ، فقد اتفقت النصوص المروية عن الأئمة (عليهم السلام) إن المقصود بالعلم ههنا هو العلم بالدين والشريعة الخاتمة ، أعم من كونه علماً بالعقائد والأحكام ، ويدل عليه ما رواه الكليني عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال : ما هذا ؟ فقيل : علامة فقال : وما العلامة ؟ فقالوا له : أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها ، وأيام الجاهلية ، والأشعار العربية ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وآله : «**ذاك علم لا يضر من جهله ، ولا ينفع من علمه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله : إنما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة ، وما خلاهن فهو فضل**»[1] ، فالعلم الواجب هو العلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه المروية بطريق أهل البيت (عليهم السلام) .

■ ولكن هذه الرواية الشريفة أطلقت على العلم بالأنساب والوقائع وأشعار العرب وأيام الجاهلية علوماً !

---

١ الكافي ١\٢٣ .

– نعم ، لكنه علم لا يضر من جهله ، ولا ينفع من علمه ، يعني ليس واجباً ، هذا إن لم نقل أن الاشتغال به مذموم؛ لاستلزامه تضييع الوقت بما لا ينفع، في حين إن النصوص السابقة أوجبت طلب العلم ، أي العلم الذي ينفع المؤمن ، ويضره الجهل به ، وهو علم القرآن والسنة ، وقد تواتر عن أهل البيت (عليهم السلام) أن التفقه المقصود في الروايات الشريفة إنما هو العلم بأحاديثهم (عليهم السلام) وأخذ الحلال والحرام عنها ومعرفة الحق باكتسابها :

* عن جابر ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : «**سارعوا في طلب العلم فوالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة**»[1] .

* عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً**»[2] .

* المصدر نفسه : عن زيد الشحام عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل : «**فلينظر الإنسان إلى طعامه " قال : قلت ما طعامه ؟ قال : علمه الذي يأخذه ، عمن يأخذه**»[3] .

* عن حنان بن سدير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**من حفظ عنا أربعين حديثاً من أحاديثنا في الحلال والحرام بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ولم يعذبه**»[1] .

---

١ المحاسن ١\٢٢٧ .
٢ الكافي ١\٤٩ .
٣ الكافي ١\٤٩ .

* عن محمد الكناسي قال : حدثنا من رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله عز ذكره : «**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب " قال : هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء ليس عندهم ما يتحملون به إلينا فيسمعون حديثنا ويقتبسون من علمنا فيرحل قوم فوقهم وينفقون أموالهم ويتعبون أبدانهم حتى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا فينقلونه إليهم فيعيه هؤلاء وتضيعه هؤلاء ، فأولئك الذين يجعل الله عز ذكره لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون**»[٢]

.

* معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : «**رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويسدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ، ولعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه الرواية ، أيهما أفضل ؟ قال : الراوية لحديثنا ، يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد**»[٣] .

* عبد السلام الهروي ، عن الرضا (عليه السلام) قال : «**رحم الله عبداً أحيى أمرنا ، قلت : كيف يحيي أمركم ؟ قال : يتعلم علومنا ، ويعلمها الناس ، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا**»[٤] .

* الحسن بن علي بن شعبة في (تحف العقول) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له : «**قولوا ما قيل لكم ، وسلموا لما روي لكم**

---

١ الخصال للصدوق ص٥٤٢ .
٢ الكافي ٨\١٧٨ .
٣ وسائل الشيعة ٢٧\٧٧ .
٤ وسائل الشيعة ٢٧\٩٢ .

، ولا تكلفوا ما لم تكلفوا فإنما تبعته عليكم ، واحذروا الشبهة فإنها وضعت للفتنة»[1] .

* قال النبي صلى الله عليه وآله : «**إنما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة ، وما خلاهن فهو فضل**»[2] .

* عن أبي مريم قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : «**شرقا وغربا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت**»[3] .

*: عن زرارة قال : كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فقال : له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : " سلوني عما شئتم فلا تسألوني عن شئ إلا أنبأتكم به " قال : «**إنه ليس أحد عنده علم شئ إلا خرج من عند أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فليذهب الناس حيث شاؤوا ، فوالله ليس الأمر إلا من ههنا ، وأشار بيده إلى بيته**»[4] .

* حدثنا يحيى بن عبد الله أبي الحسن صاحب الديلم قال : سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول – وعنده أناس من أهل الكوفة – : **عجباً للناس إنهم اخذوا علمهم كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعملوا به واهتدوا ويرون أن أهل بيته لم يأخذوا علمه ، ونحن**

---

١ وسائل الشيعة ١٠٢\٢٧ .
٢ الكافي ٣٢\١ .
٣ بصائر الدرجات ص٣٠ .
٤ الكافي ٣٩٩\١ .

أهل بيته وذريته في منازلنا نزل الوحي ، ومن عندنا خرج العلم إليهم ، أفيرون أنهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا ، إن هذا لمحال[1] .

* عن عبد الله بن ميمون القداح ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : **يا رسول الله ما العلم ؟ قال : الإنصات ، قال : ثم مه ؟ قال : الاستماع ، قال : ثم مه ؟ قال : الحفظ ، قال : ثم مه ؟ قال : العمل به ، قال : ثم مه يا رسول الله ؟ قال : نشره**[2] .

* عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : **من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى العناء ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشرك وذلك الباب المأمون على سر الله المكنون**[3] .

* وعن صالح بن السندي ، عن أمية بن علي ، عن مسلم ابن أبي حية قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) في خدمته فلما أردت أن أفارقه ودعته وقلت : أحب أن تزودني ، فقال : **ائت أبان بن تغلب فإنه قد سمع مني حديثا كثيرا ، فما رواه لك فاروه عني**[4] .

* عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : **اعرفوا منازل الرجال منا على قدر رواياتهم عنا**[5] .

---

١ الكافي ١\٣٩٨ .
٢ الكافي ١\٤٨ .
٣ الكافي ١\٣٧٧ .
٤ وسائل الشيعة ٢٧\١٤٧ .
٥ وسائل الشيعة ٢٧\١٤٩ .

* عن محمد بن سعيد الكشي ، عن محمد بن أحمد بن حماد المروزي المحمودي ، يرفعه قال : قال الصادق (عليه السلام) : «**اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا**»[1] .

* قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فان الحديث جلاء للقلوب ، إن القلوب لترين كما يرين السيف**»[2] .

* عن الفضيل بن يسار قال : قال لي أبو جعفر (عليه السلام) : «**يا فضل إن حديثنا يحيي القلوب**»[3] .

* عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة**»[4] .

■ إذن كيف ترد على الروايات التي أرجعت الشيعة إلى الفقهاء من أصحاب الأئمة كيونس بن عبد الرحمن وعبد العظيم الحسني وغيرهما ، كالخبر الذي روي عن عبد العزيز بن المهتدي قال : سألت الرضا (عليه السلام) فقلت : إني لا ألقاك في كل وقت ، فعمن آخذ معالم ديني ؟ فقال : «**خذ عن يونس بن عبد الرحمن**»[5] .

– ما المقصود بأخذ معالم الدين ؟

■ التقليد طبعاً ...

– من أين لك هذا ؟

---

١ وسائل الشيعة ٢٧\١٤٩ .
٢ وسائل الشيعة ٢٧\١٤٩ .
٣ خصال الصدوق ص٢٢ .
٤ وسائل الشيعة ٢٧\٨٩ .
٥ وسائل الشيعة ٢٧\١٤٨ .

■ هذا ما يقوله كل الفقهاء؛ لأن الرجوع هو أخذ الفتوى، والسؤال عن أحكام الدين، وموارد الابتلاء، وهذا كله يرجع لمفهوم التقليد بمعناه المعاصر .

– وهل مفهوم كل رجوع يلازم مفهوم التقليد ؟

■ ماذا تقصد ؟

– هل تسمح أن أفصِّل القول في هذه النقطة ؟

■ نعم أخي، رحمك الله، فما جئت إلى هنا إلا لأستمع إلى بيانك العذب، وما تدلي به من حجج وبراهين .

– أخي العزيز، إذا سمحت لي فإني سأوضح ، إن شاء الله تعالى ، أن هذه الروايات – أعني روايات الاستفتاء والرجوع إلى الأصحاب– ليست بعيدة عن مفهوم التقليد فحسب ، بل فيها ما يهدم هذه النظرية ويؤسس لنظرية أهل البيت الصافية الجلية التي أرادوها لشيعتهم حتى يأمنوا من الزلل والوقوع في الضلال وسوء العمل .

■ كيف ذلك؟

– إن إرجاع الأئمة شيعتهم إلى هؤلاء الرواة إنما هو لأخذ الرواية عنهم لا أخذ فتواهم وما توصل إليه استنباطهم ؟! فالسيرة الجارية – التي سنثبتها بالأدلة – أن الاستفتاء هو نقل الرواية من الراوي إلى السائل ؟! وأخذ الرواية من الراوي لا يسمى تقليداً، نعم ربما كان الراوي عوناً للسائلِ في فهم الرواية، وتوضيح ما التبس فيها ، وذكر شواهدها ومؤيداتها .

■ لماذا لا يُسمى تقليداً ؟

– لأن التقليد أخذ قول الغير دون حجة، وإعطاء الرواية حين الاستفتاء، يعني إعطاء الحجة والدليل، ، انحصار وظيفة الفقيه بالنقل عن المعصوم، وبالتالي لا يتحقق مفهوم التقليد في مثل هذا النوع من الرجوع .

■ وما الدليل على قولك إن الرجوع إنما هو لأخذ الرواية لا رأي الفقيه وفتواه؟

– يدل على ذلك جملة من الروايات الشريفة، منها[1] :

* عن أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن (عليه السلام) قال : سألته وقلت : من أعامل ؟ وعمن آخذ ؟ وقول من أقبل ؟ **فقال : «العَمري ثقتي فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون»** ... وفي نهاية الحديث : أنه سأل العَمري عن مسألة فقال : **«محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم ولكن عنه (عليه السلام)»** .

■ وأين وجه الدلالة في هذا الحديث ؟

– لاحظ قول العَمري (رضوان الله عليه) في نهاية الحديث : **«ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم ولكن عنه (عليه**

---

١ راجع الوسائل : ١٣٦\٢٧ وما بعدها .

السلام) ...»، فمن الواضح أنه ينقل الرواية، ولا يتكلف من عنده رأياً أو يستنبط من غير الرواية حكماً .

■ لكنك أغفلت أن الإمام أمر أحمد بن إسحاق بالسمع والطاعة ...

– أما أمر الإمام العسكري (عليه السلام) لأحمد بن إسحاق أن يسمع ويطيع للعَمْري ،عثمان بن سعيد(رضوان الله عليه)، فهذا الأمر لم يرد إلا في خصوص النواب الأربعة الذين توالوا على السفارة في زمن الغيبة الصغرى، وإطلاق النص الوارد في الرواية يشير إلى نحو من (عصمة التبليغ) لدى هؤلاء الرواة المخلصين الممتحنين، فقوله (عليه السلام) : «**فما أدى إليك عني فعني يؤدي**» يعني أن السفير لا يقول من عنده شيء، وهو هكذا في جميع حالاته، بل في روايات أخرى يظهر أن هؤلاء السفراء مسددون من قبل الله تعالى، والمحصل أننا لا نجد في رواية غير هذه الرواية أن الإمام أمراً أحداً بالسمع والطاعة المطلقة، بل نجد في روايات أخرى نهي عن الطاعة المطلقة لغير المعصوم (عليه السلام)، كالرواية التي رواها الكليني بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي (ثقة بالاتفاق) قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : «**إياك أن تنصب رجلاً دون الحجة ، فتصدقه في كل ما قال**»[1] .

---

١ الكافي ٢\٢٩٨ .

■ وهل عندك نصوص وشواهد أخرى تُثبت بما لا يقبل الشك أن المقصود من الاستفتاء أو الرجوع للفقهاء إنما هو أخذ الرواية لا أخذ الرأي والاجتهاد، فإني لن آخذ من كلامك إلا ما أثبته الدليل بالنصوص المتظافرة، والروايات المتكاثرة .

– نعم، حباً وكرامة، هذه جملة من الروايات الواردة في هذا الشأن :

* عن أبان بن عثمان أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال له : «**إن أبان بن تغلب قد روى عني رواية كثيرة ، فما رواه لك عني فاروه عني**» .

* عن أبي بصير أن أبا عبد الله قال له – في حديث : – «**لولا زرارة ونظراؤه لظننت أن أحاديث أبي (عليه السلام) ستذهب**» .

* عن يونس بن عمار أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال له في حديث : «**أما ما رواه زرارة ، عن أبي جعفر (عليه السلام) فلا يجوز لك أن ترده**» .

* عن المفضل بن عمر ، أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال للفيض بن المختار في حديث : «**فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس ، وأومأ إلى رجل من أصحابه ، فسألت أصحابنا عنه ، فقالوا : زرارة بن أعين**» .

* عن إبراهيم بن عبد الحميد وغيره قالوا : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**رحم الله زرارة بن أعين ، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي (عليه السلام)**» .

* مسلم ابن أبي حية قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) في خدمته فلما أردت أن أفارقه ودعته وقلت : أحب أن تزودني ، فقال : «**ائت أبان بن تغلب فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً** ، **فما رواه لك فاروه عني**» .

* عن أحمد بن الفضل الكناسي ، قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : **أي شئ بلغني عنكم** ؟ قلت : ما هو ؟ قال : **بلغني أنكم أقعدتم قاضيا بالكناسة** ، قال : قلت : نعم جعلت فداك ، رجل يقال له عروة القتات، وهو رجل له حظ من عقل نجتمع عنده فنتكلم ونتساءل ثم يرد ذلك إليكم، قال : «**لا بأس**» .

* عن حُسَيْن بن معاذ، عن أبيه معاذ بن مسلم النحوي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس ؟** قلت : نعم ... إلى أن قال : ، **ويجئ الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم فأخبره بما جاء عنكم** ..» .

وبعد أن نقل صديقي (علي) الروايات ، توقف قليلاً وقال :

– وهذه الرواية الأخيرة مهمة جداً ...

■ كيف ؟

– من هذه الرواية يتضح ما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) عندما أمر أبان بن تغلب أن يجلس ويفتي الناس، قال له أبو جعفر (عليه السلام) : «**اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس** ، **فاني أحب**

أن يرى في شيعتي مثلك»، فالإفتاء أن يُخبر الناس بما جاء عنهم (عليهم السلام) .

■ وهل ثمة روايات أخرى ؟

– نعم، عن حريز – في حديث – إن أبا حنيفة قال له : أنت لا تقول شيئاً إلا برواية ؟ قال : أجل[1] .

■ جيد، لكن هذه كلها روايات في عموم رواية الحديث، لا في خصوص الاستفتاء، فهل عندك روايات في خصوص السؤال والاستفتاء ليطمئن قلبي .

– لقد ذكرت لك في ما سبق روايات تخص الاستفتاء ومنها رواية معاذ بن مسلم .

■ نعم، صحيح، لكني أردت روايات أخرى بهذا الشأن .

– من الروايات المهمة في هذا الشأن ما رواه الكليني وغيره عن عبد الله بن أبي يعفور ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إني لست كل ساعة ألقاك ، ولا يمكنني القدوم ، ويجئ الرجل من أصحابنا فيسألني ، وليس عندي كلما يسألني عنه، قال : «**فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي ؟ فإنه قد سمع من أبي ، وكان عنده مرضياً وجهياً**» .

■ وما أهمية هذه الرواية ؟

---

[1] الوسائل ١٤٧\٢٧ .

– هذه الرواية فيها من التفصيل والوضوح ما ينفع المسترشد ويقنع المنصف، وهي تؤسس لطبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الرواة أنفسهم وبين الشيعة بشكل عام، فمن احتاج المسالة منهم ذهب إلى عبد الله بن أبي يعفور ليأخذ الرواية، ولم يكن ابن يعفور ملماً بكل روايات أهل البيت (عليهم السلام) فسأل الإمام أن يرشده إلى من هو أفقه منه بالحديث ليرجع إليه – عند الحاجة – فأرشده الإمام إلى محمد بن مسلم الطحان – الفقيه الكوفي الفريد – وعلل ذلك بأنه «**قد سمع من أبي ، وكان عنده مرضياً وجهياً**» ، ومحمد بن مسلم كان يحفظ (٤٦) ألف حديث، وهو رقم يفوق عديد الروايات الموجود في كتاب الوسائل ذي الثلاثين ألف حديث !! عن محمد بن مسلم ، قال : «ما شجر في قلبي شئ إلا سألت عنه أبا جعفر (عليه السلام)، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ستة عشر ألف حديث»[١] .

■ ولكن هل عندك رواية على سيرة الراوي والفقيه (محمد بن مسلم الطحان)، كيف كان يفتي الناس، هل يفتيهم برأيه واستنباطه من النصوص، أو ما يعرف اليوم بالاجتهاد، أم يفتيهم بنص الرواية؟ .

– ما وصلنا من سيرته الشريفة هو الافتاء بالرواية، ونتحدى واحداً أن يأتي لنا برواية واحدة، تفيد انه كان يفتي باجتهاده أو استنباطه من دون الرجوع للنصوص أو دون أن يروي جوابه للسائل، روى الشيخ

---

[١] مستدرك الوسائل ١٧\٣١٥ .

المفيد في الاختصاص ص٢٠٣ عن أحمد بن محمد بن يحيى ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن عبد الله بن بكير ، عن محمد بن مسلم ، قال : إني ذات ليلة لنائم على السطح إذ طرق الباب طارق ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أشرف رحمك الله ، فأشرفت فإذا امرأة ، فقالت : لي ابنة عروس يضربها الطلق فما زالت تطلق حتى ماتت والولد يتحرك في بطنها ويذهب ويجيئ فما أصنع ؟ فقلت : لها يا أمة الله سئل محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليهم السلام) عن مثل هذا فقال : يشق بطن الميت ويستخرج الولد ، يا أمة الله افعلي مثل ذلك ، يا أمة الله ، إني رجل في ستر ، من وجهك إلي ؟ قالت لي : رحمك الله جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي ، فقال لي : ما عندي فيها شئ ولكن عليك بمحمد بن مسلم الثقفي فإنه يخبرك ، فما أفتاك به من شئ فعودي إلي فأعلمينه ، فقلت لها : امضي بسلام ، فلما كان الغد خرجت إلى المسجد فإذا أبو حنيفة يسأل أصحابه عنها فتنحنحت ، فقال : اللهم غفراً دعنا نعيش .

■ أشكرك على توضيح مثل هذه الحقائق ، وبيان هذه المعلومات التي كنتُ غافلاً عنها ، وجزاك الله خيراً ، ولكن اسمح لي أن ننهي حوارنا لهذا اليوم ، فإني أشعر بالإرهاق ، وأحتاج إلى بعض الوقت لمراجعة هذه النصوص ، والتأكد منها ، والنظر في دلالاتها ، وطرح بعض الإشكاليات التي تعلق في فكري .

أدلة الردع عن تقليد غير المعصوم

كنت حريصاً على عقد جلسة جديدة مع الأخ (علي) في أسرع وقت، فاتفقت معه على جلسة في صباح يوم غد، وبعد اللقاء والسلام بادرته القول :

■ مولانا، سمعت منك بالأمس أحاديث كثيرة عن طريقة التفقه المسنونة من قبل أهل البيت (عليهم السلام)، وهي طريقة تَحَمّل الرواية وأخذها عن الفقهاء المحدثين ، اليوم أريد أن أسأل سؤالاً سيكون هو الفيصل في تحديد مساراتي في فهم هذه العقيدة .

– تفضل على بركة الله تعالى .

■ أخي علي ... هل عندنا نصوص صريحة واضحة في النهي (الردع) عن التقليد ، حتى نضمها إلى النصوص السابقة، فتكون الصورة مكتملة وواضحة دون أدنى شك أو شبهة ؟

– لا شك في ذلك، نصوص كثيرة متظافرة ، يشهد بعضها لبعض، ويؤيد بعضها بعضاً، وهي نصوص منصورة بالآيات القرآنية الشريفة .

■ فصّل لنا فيها بارك الله بك .

– أخي العزيز، إن الشريعة المقدسة "ردعت" عن التقليد بشكل واضح وجلي ، وجاء هذا الردع بأشكال مختلفة على لسان الروايات الشريفة ، منها ما أورده البرقي في المحاسن في "باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ٢٤٦١١ قال : عن عمرو بن أبي المقدام ، عن

رجل ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " . قال : **«والله ما صلوا لهم ولا صاموا ، ولكن أطاعوهم في معصية الله»** .

■ وما دلالتها على ردع التقليد .

- دلالتها واضحة اخي ... إن اليهود والنصارى أطاعوا أحبارهم ورهبانهم في معصية الله تعالى فكأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله .

■ ولكننا لا نطيع المرجع في معصية الله !

- انت تطيعه في كل شيء يأمرك به، أو تجده في رسالته العملية ... أليس كذلك ؟!

■ نعم، هو كذلك .

- والمرجع الذي تطيعه غير معصوم ... أليس كذلك ؟؟

■ نعم، هو كذلك .

- إذن ، ربما أطعته في معصية الله تعالى وأنت لا تعلم ... فتكون بذلك قد اتخذت رباً من دون الله تعالى، كما كانت تفعل اليهود والنصارى .

■ أعوذ بالله ... أكمل أخي جزاك الله خيراً .

- عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله : "**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** " **فقال : والله ما صلوا لهم ولا صاموا ، ولكنهم أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم** . وعن أبي بصير أيضاً ، قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن

قول الله : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " فقال : **أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم ، ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً ، فعبدوهم من حيث لا يشعرون** ، وقد أورد هذه الرواية أيضاً الشيخ الكليني في باب (التقليد) ، انظر : الكافي ٥٣\١ ، وهي واضحة في دلالتها كما ترى .

■ وهل هناك من العلماء من أفاد من هذه الروايات الردع عن التقليد .

– نعم أخي، يقول المولى المازندراني (رحمه الله تعالى) في شرح الحديث : «وفيه ذم وتقريع لمن اتبع من لم يحكم بما أنزل الله وقلد من لم يكن مؤيداً بنور إلهي وموفقاً بإلهام رباني فانظر رحمك الله هل يدخل فيه المجتهد المخطىء ومن قلده أم لا ؟ ومن ذهب إلى الثاني لا بد له من الإتيان بنص يوجب إخراجهما عن هذا الحكم» – شرح أصول الكافي ٢٣٠\٢ .

■ وهل ثمة روايات أخرى .

– نعم، روايات كثيرة، نذكر منها :

* الكافي ٣٩٨\٢ : عن ابن أبي عمير ، عن رجل ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده**» .

* وسائل الشيعة ١٣٢\٢٧ : وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «**من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال ، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل**» .

■ الله أكبر ، ما أشد هذه الرواية ... زدني ، زدني ... زادك الله من الخير .

– أحسنت أخي (بسام)، ومن الروايات أيضاً :

* وسائل الشيعة ١٣٢\٢٧ : عن ضريس ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال : «**شرك طاعة وليس شرك عبادة**» .

* نفس المصدر : عن الحسن بن علي بن يقطين ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : «**من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله ، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان**» .

* عيون أخبار الرضا ٢٧٢\٢ : يا ابن أبي محمود لقد اخبرني أبي عن أبيه عن جده (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : «**من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس**» ... إلى أن قال (عليه السلام) : «**يا ابن أبي محمود إذا اخذ الناس يمينا وشمالا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه ، إن أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواه ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه ، يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك خير الدنيا والآخرة**» .

* وسائل الشيعة ١٢٨\٢٧ : عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى الفناء ، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشرك ، وذلك الباب المأمون على سر الله المكنون**» .

* المصدر نفسه : عن إبراهيم بن أبي محمود ، عن الرضا (عليه السلام) – في حديث طويل – قال : أخبرني أبي ، عن آبائه ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : «**من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله ، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس – إلى أن قال : – يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فألزم طريقتنا ، فإنه من لزمنا لزمناه ، ومن فارقنا فارقناه**» .

■ أللهم أجعلنا ممن يلزم طريقتهم ولا يفارقها .

– أخي (بسام)، بودي أن تركز ذهنك معي على هاتين الروايتين :

* الكافي ٢٩٨\٢ : محمد بن يحيى (ثقة) ، عن أحمد بن محمد بن عيسى (ثقة) ، عن [الحسن بن أيوب بن أبي عقيلة الصيرفي] (ثقة كما قال السيد الخوئي) قال : حدثنا كرام (هو عبد الكريم بن عمرو ثقة ثقة عين) ، عن أبي حمزة الثمالي (ثقة بالاتفاق) قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : **إياك والرئاسة وإياك أن تطأ أعقاب الرجال ، قال : قلت : «جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها وأما أن أطأ أعقاب الرجال**

فما ثلثا ما في يدي [أي من العلم**] إلا مما وطئت أعقاب الرجال فقال لي : ليس حيث تذهب ، إياك أن تنصب رجلاً دون الحجة ، فتصدقه في كل ما قال» .**

* معاني الأخبار ص١٨٠ : عن سفيان بن خالد ، قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**يا سفيان إياك والرئاسة ، فما طلبها أحد إلا هلك . فقلت له : جعلت فداك ، قد هلكنا إذ ليس أحد منا إلا وهو يحب أن يذكر ويقصد ويؤخذ عنه ! فقال : ليس حيث تذهب إليه ، إنما ذلك أن تنصب رجلا دون الحجة فتصدقه في كل ما قال و تدعوا الناس إلى قوله» .**

■ سبحان الله، مفهوم التقليد واضح جداً في الروايتين، وهل التقليد إلا أن(**تنصب رجلاً دون الحجة ، فتصدقه في كل ما قال)** ... صلوات الله على أبي عبد الله الصادق المصدق في القول والفعل .

– وهذه الرواية صريحة جداً مع إيراد لفظ (التقليد) :

* المحاسن ٢٠٨\١ : عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس فقال : «**أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كلام الله ، يقلد فيها رجال رجالاً ، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً ، فهنالك**

استحوذ الشيطان على أوليائه ، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» .

■ أعوذ بالله من مضلات الفتن .

– وهاتان الروايتان أيضاً :

* وسائل الشيعة ١٣٠\١٢٧ : عن الحجاج بن الصباح قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنا نحدث عنك بالحديث فيقول بعضنا قولنا قولهم قال : «**فما تريد ؟ أتريد أن تكون إماماً يقتدى بك ؟ ! من رد القول إلينا فقد سلم**» .

* المحاسن ص٢٣٠ : روى البَرقي بسند مرفوع إلى المسيح (عليه السلام)، قال : «**خذوا الحق من أهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق ، كونوا نقاد الكلام فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة المموهة ، النظر إلى ذلك سواء ، والبصراء به خبراء**» .

■ هل يمكن لك أخي أن تجمل لي المطالب التي وردت في الروايات السابقة ؟

– ركزت الروايات السابقة على محاور أهمها :

١– إن اليهود (عبدوا) أحبارهم ورهبانهم عندما أطاعوهم دون تمحيص الحلال من الحرام ، وهذا المعنى واضح في إشارته للتقليد حتى أن ثقة الإسلام الكليني عنون هذه الروايات تحت باب (التقليد) ، وهذا التقليد يشمل الفروع والأصول بقرينة الإشارة إلى (الحلال والحرام) .

٢- أن من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده ، وهذه العبادة هي ما تسميه الروايات (شرك الطاعة) وهو مفهوم قرآني روائي .

٣- إن الدين يجب أن يؤخذ من الكتاب والسنة وليس من (أفواه الرجال) ، ومن الطبيعي أن من يتبع قول الغير دون حجة (وهو تعريف التقليد)[1] ينطبق عليه أنه أخذ دينه من أفواه الرجال ، على اعتبار أن الفقيه لا يعطيه نصاً قرآنياً أو روائياً بل تعابير فتوائية مجردة من ذكر الدليل .

٤- إن الذي يصغي إلى ناطق يجب أن يميز فيما إذا كان ينطق عن الله أو الشيطان ، وإلا فلا يأمن أن يقع في عبادة الشيطان إذا كان الناطق كذلك .

٥- أن المطلوب أن يدين المؤمن الله تعالى بسماع عن صادق ، والسماع نقيض التقليد .

٦- دعوة أهل البيت لنا لمعرفة الحق طريقاً لنقد وتمحيص الرجال ، لا أن نقوم الحق بالرجال وأقوالهم .

٧- هناك ردع شديد أن ينصب المؤمن رجلاً (دون الحجة) ويصدقه في كل ما يقول وهو التقليد بنفسه وعينه ، ولم يقل الإمام أن تنصب رجلاً (جاهلاً) أو (فاسقاً) بل قال دون الحجة ، يعني : مهما بلغ من الورع والعلم فإن منزلته دون الحجة ومع ذلك لا يجوز تقليده ، وقوله (في كل ما قال) إشعار جلي بوجوب التمحيص وتمييز السقيم من الصحيح .

---

[1] الاجتهاد والتقليد ، محمد مهدي شمس الدين ، ص١٧٩ .

٨- الواجب على الفقيه أن يرد القول لأهل البيت (عليهم السلام) وهذا يقتضي الإفتاء بالرواية لا بفتوى جاهزة .

٩- على المؤمن أن لا يأخذ الباطل من أهل الحق، وهذا تعبير رائع عن بطلان التقليد ورد على لسان سيدنا المسيح (عليه السلام) .

١٠. إن السلامة هي في رد القول إليهم (عليهم السلام)، ومن لم يلتزم بقول الأئمة في إفتائه فكأنما نصب نفسه إماماً للناس .

التقليد يتنافى مع العقل

لقد نزلت الروايات السابقة على قلبي كالماء البارد على كبد العطش الصادي، ويبدو أن صديقي (علي) لمح في عيني مثل هذا التفاعل مع النصوص ، فبادرني القول :

- إن التقليد بمفهومه المعروف (أخذ قول الغير بدون حجة ودليل) يتعارض مع (وظيفة العقل) التي أودعها الله تعالى .

■ ما هي وظيفة العقل ؟

- وظيفة العقل تتمثل بـ (القدرة على تمييز القول الحق من القول الباطل) ، وهذه الوظيفة تتناقض تماماً مع وظيفة العقل ودوره في المنظومة الإسلامية الفكرية، لأن المقلِّد - بالكسر - يمتاز بالصفات التالية :

١. لا يمكن أن يفقه الدليل .

٢. لا يتمتع بصلاحية نقد المرجع؛ لأنه لا يملك من القدرة العقلية ما تمكنه من ذلك .

■ هل توجد روايات تدل على وظيفة العقل التي ذكرتها؟ .

– جملة من الروايات، نكتفي بالإشارة إلى بعضها :

* الكافي ٢٥\١ : عن ابن السكيت قال : سألت أبا الحسن [الهادي] (عليه السلام) : ما الحجة على الخلق اليوم ؟ قال : فقال (عليه السلام) : «**العقل ، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه**» .

* المصدر نفسه : عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**حجة الله على العباد النبي ، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل**» .

* المصدر نفسه : عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**العقل دليل المؤمن**» .

* الكافي ١٣\١ : عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : «**يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال : "فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** "» .

* الكافي ٢٦\١ : عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل . ثم قال له : أدبر فأدبر

، فقال : «**وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك إياك آمر وإياك أنهي ، وإياك أثيب وإياك أعاقب**» .

السؤال ليس تقليداً

حاولت أن أجمع في فكري بعض دفوعات الأصوليين في إثبات التقليد، فقلت له :

■ أخي ، عندنا روايات عدة، تؤكد على وجوب السؤال من الفقيه أو العالم ، ألا يعتبر ذلك دليلاً على التقليد؟ .

– أخي العزيز، من قال إن كل سؤال من جاهل لعالم صار تقليداً ؟ أو بعبارة أدق : من قال إن كل سؤال من متعلم إلى معلم صار تقليداً ؟! هل قال الأئمة (عليهم السلام) لشيعتهم : اسألوا الرواة وخذوا عنهم دون تمحيص ؟؟ وهل كانت السيرة قائمة على سؤال المتعلم المسترشد أم سؤال المقلد الجاهل الغافل ؟؟

■ لا أدري، هل عندك بيان في ذلك .

– نقول وبالله التوفيق : يتضح من الروايات أن الأئمة (عليهم السلام) قد أمروا شيعتهم بالسؤال الواعي القائم على الفهم والتمحيص ، وأنهم (عليهم السلام) وضعوا لشيعتهم قواعد مهمة في تمحيص الروايات المختلفة والأحاديث المتناقضة ، ومجموع هذه الروايات تؤكد أن طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الشيعة – على اختلاف مستوياتهم العلمية

– هي علاقة أبعد ما تكون عن التقليد الذي هو أخذ قول الغير دون سؤاله عن الحجة والدليل .

■ هل عندك روايات تدل على ذلك .

– أنا أشير إلى نماذج من روايات المسألة (وسائل الشيعة ١٩\٢١ وما بعدها) :

الأنموذج الأول : عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن المتعة فقال : **إلقِ عبد الملك بن جريح ، فسله عنها فان عنده منها علماً ، فلقيته فأملى علي شيئاً كثيراً في استحلالها** ، وكان فيما روى فيها ابن جريح : أنه ليس لها وقت ولا عدد – إلى أن قال : – فأتيت بالكتاب أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : **صدق وأقر به** .

■ أخي، ماذا نستفيد من هذه الرواية ؟

– يمكن أن نستفيد من هذه الرواية أمرين :

أولاً : إن الاستفتاء هنا هو أخذ الرواية عن الفقيه أو كما هو واضح ظاهر من قوله **(وكان فيما روى فيها)** .

ثانياً : إن السائل أخذ ما أملاه عليه ابن جريح وعرضه على الإمام (عليه السلام) ، فأقره وصدق روايته ، وهذا نحو تمحيص لا يتفق مع التقليد في شيء .

الأنموذج الثاني : في الكافي : عن عبد الله بن أبي يعفور ، قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به ؟ قال : «**إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فالذي جاء كم به أولى به**» .

■ إن اسم (عبد الله بن أبي يعفور) ليس غريباً عليَّ .

– عبد الله بن أبي يعفور، هو الذي أرشده الإمام أبو عبد الله (عليه السلام) إلى (محمد بن مسلم الطحان) ، جاء هذه المرة ليسأل عن اختلاف الرواية (وهذا يؤكد أن الاستفتاء هو تلقي الرواية) ، ويظهر من الرواية الشريفة أن الإمام (عليه السلام) هنا لم يرشد ابن يعفور مرة أخرى لمحمد بن مسلم لأخذ الرواية؛ لأن المشكلة أصلاً هي في الرواية واختلافها ، وإنما كان الإرشاد لواحدة من أهم طرق التمحيص المأثورة عن أهل بيت العصمة وهي طريقة العرض على الكتاب والسنة .

ونتحدى أن يأتوا برواية واحدة من روايات اختلاف الحديث وطرق تمحيصها ، أحال فيها الإمامُ السائلَ إلى أحد الرواة كفيصل لتمحيص اختلاف الحديث ! ، بل أكثر من ذلك : في كل روايات العرض على الكتاب والسنة ، نجد أن الإمام يأمر السائل بعينه وبنفسه أن يعرض الحديث على الكتاب والسنة وليس في شيء من تلكم الروايات أن الإمام (عليه السلام) أحال السائل إلى أحد أصحابه أو احد الرواة ليعرض

(للسائل) الرواية على الكتاب ، وكأن عملية التمحيص هي الأخرى لا تكون بالتقليد وإنما تقع على السائل نفسه .

الأنموذج الثالث : في الكافي ٤٣٢\٦ : [عن] محمد بن يحيى ، عن بعض أصحابنا ، عمن ذكره عن أبي جميلة البصري ، قال : كنت مع يونس ببغداد فبينا أنا أمشي معه في السوق إذ فتح صاحب الفُقَّاعِ فقاعه فأصاب ثوب يونس فرأيته قد اغتم لذلك حتى زالت الشمس فقلت له : ألا تصلي يا أبا محمد فقال : ليس أريد أن أصلي حتى أرجع إلى البيت فأغسل هذا الخمر من ثوبي ، قال : فقلت له : هذا رأيك أو شئ ترويه ؟ فقال : أخبرني هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن الفقاع فقال : «**لا تشربه فإنه خمر مجهول فإذا أصاب ثوبك فاغسله**» .

■ من هو يونس هذا ؟

– يونس المذكور في الرواية هو (يونس بن عبد الرحمن) ، أحد الفقهاء الذين أمر الأئمة بالرجوع إليهم والأخذ عنهم ، ومع ذلك فالملاحظ أنه عندما أخبر صاحبه (أبو جميلة) أن الفُقّاع خمرٌ ، استفهم منه أبو جميلة إن كان هذا رأيه أو رواية يرويها ؟! وهذا الاستفهام مؤشر على طبيعة العلاقة التي كنت قائمة بين الشيعة ورواة الحديث ، فأين هذا من التقليد الأعمى ؟! كما إنه يضع مفهوم الرأي في مقابل

الرواية ، فالرأي نقيض الرواية ، وليس كما تصور المدرسة الأصولية أن الرأي محصور بالقياس أو اتباع الهوى .

الأنموذج الرابع : في رجال الكشي ٤٧٣\١٢ : حمدويه وإبراهيم ، قالا : حدثنا العبيدي ، عن ابن أبي عمير ، عن إسماعيل البصري ، عن أبي غيلان ، قال : أتيت الفضيل بن يسار ، فأخبرته أن محمدا وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن قد خرجا ، فقال لي : **ليس أمرهما بشئ** ، قال : فصنعت ذلك مراراً ، كل ذلك يرد علي مثل هذا الرد . قال ، قلت : رحمك الله قد أتيتك غير مرة أخبرك فتقول ليس أمرهما بشئ أفبرأيك تقول هذا ؟ قال ، فقال : لا والله ، ولكن سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : **إن خرجا قتلا** .

■ أخي، أين موضع الشاهد في هذه الرواية ؟

– موضع الشاهد قوله : **(أفبرأيك تقول هذا ؟)** ، وقول الفضيل : **(لا والله ، ولكن سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول)** ومن يتضح أن السؤال كان مع التمحيص ، وأن (الرأي) إنما هو في قبالة (السماع) .

الأنموذج الخامس : في الكافي عن عمر بن أذينة ، عن زرارة في حديث طويل فصّل فيه زرارة أحكام الإرث ، قال عمر بن أذينة في

نهاية الحديث : فقلت لزرارة : تقول هذا برأيك ؟ فقال : أنا أقول هذا برأيي ! إني إذا لفاجر أشهد أنه الحق من الله ومن رسوله (صلى الله عليه وآله) .

■ وما دلالة هذه الرواية ؟

– لم يقل زرارة إن هذا رأيي أو استنباطي أو قولي أو اجهادي، وإنما شهد أنه (الحق) ، وأنه (من الله ورسوله) .

الأنموذج السادس : في الوسائل ١٢١\٢٧ : وعن الحسن بن الجهم ، عن الرضا (عليه السلام) قال : قلت له : تجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة ، فقال : «**ما جاءك عنا فقس على كتاب الله عز وجل وأحاديثنا ، فإن كان يشبههما فهو منا ، وإن لم يكن يشبههما فليس منا ، قلت : يجيئنا الرجلان – وكلاهما ثقة – بحديثين مختلفين ولا نعلم أيهما الحق ، قال : فإذا لم تعلم فموسع عليك بأيهما أخذت .**

الأنموذج السابع : في المصدر نفسه : وعن سماعة بن مهران ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قلت : **يرد علينا حديثان : واحد يأمرنا بالأخذ به ، والآخر ينهانا عنه قال : لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله ، قلت : لا بد أن نعمل بواحد منهما ، قال : خذ بما فيه خلاف العامة .**

■ ما معنى (حتى تلقى صاحبك) ؟

- قوله (حتى تلقى صاحبك) ، يعني إمام زمانك .

الأنموذج الثامن : في بحار الأنوار ٢٠٦\١٨٦ في ذكر كتاب العلل للفضل بن شاذان : ثم إن الفضل [بن شاذان] - ره - ذكر أولاً تلك العلل من غير رواية ، ثم لما سأله ابن قتيبة هل قلت جميع ذلك برأيك أو عن خبر ؟ قال : بل سمعتها من مولاي أبي الحسن علي بن موسى الرضا المرة بعد المرة ، والشئ بعد الشئ فجمعتها .

وهذا أيضاً واضح أن (الرأي) في قبالة (الخبر) و(السماع) .

الأنموذج التاسع : الكافي ٧٧\٧-٧٨ : حميد بن زياد ، عن ابن سماعة ، عن محمد بن زياد ، وصفوان ، عن رفاعة ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن رجل طلق امرأته حتى بانت منه وانقضت عدتها ثم تزوجها زوجاً آخر فطلقها أيضا ثم تزوجها زوجها الأول أيهدم ذلك الطلاق الأول ؟ قال : نعم ، قال ابن سماعة : وكان ابن بكير يقول : المطلقة إذا طلقها زوجها ثم تركها حتى تبين ثم تزوجها فإنما هي عنده على طلاق مستأنف ، قال (ابن سماعة) : ذكر الحسين بن هاشم إنه سأل ابن بكير عنها فأجابه بهذا الجواب فقال له : سمعت في هذا شيئاً ؟ فقال : رواية رفاعة فقال : إن رفاعة روى إذا دخل بينهما زوج ، فقال : زوج وغير زوج عندي سواء فقلت : سمعت

في هذا شيئا ؟ فقال : لا هذا مما رزق الله عز وجل من الرأي ، قال ابن سماعة : وليس نأخذ بقول ابن بكير فإن الرواية إذا كان بينهما زوج !

■ سبحان الله ما أوضح هذه النصوص، وما أكثرها، أين كانت مثل هذه الدرر المحمدية عن عيوننا وقلوبنا ؟!

– أخي إن الشباب الشيعي اليوم مغيب في ظلمات الجهل، هذا الشباب الذي كان يفتخر في زمان إمامنا جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه لا يعمل إلا برواية، أصبح اليوم فريسة التقليد لأهل الاجتهاد والرأي، وقد استبدلت الحوزة علم الحديث بعلم الأصول، وابتعدت عن القرآن وعن تعليمه لطلاب الحوزة، كما تشهد الحوزة الدينية ضعفاً واضحاً في تدريس اللغة العربية، حتى إنك لا تجد طالباً أو استاذاً في الحوزة يخلو كلامه من اللحن أو الركة في التعبير، لاحظ – أخي العزيز – ثلاثة أمور أكد عليها أهل البيت (عليهم السلام) تركتها الحوزة جهاراً نهاراً : القرآن والحديث واللغة العربية .

■ لكن أخي العزيز، هل توجد في سلوكيات الحوزة العلمية ما يخالف سيرة أهل البيت (عليهم السلام) وأحاديثهم، فإننا لم نرَ منهم إلا كل خير .

– أنتم أخي العزيز– أقصد الشيعة المقلدين – لم تكونوا تروا شيئاً؛ لأن التقليد قد شكل طبقة كثيفة من الدخان الأسود على زجاج النوافذ الذي يفصل بين قلوبكم وبين الحقيقة .

■ إذن هل لك – غير مأمور – أن توقفني على بعض هذه المخالفات حتى أكون على بينة من أمري عندما أتخذ قرار الطلاق مع الحوزة ورجالاتها .

– إن شاء الله، إذا أحببت أن يكون هذا موضوع جلستنا القادمة .

■ بمشيئة المولى تقدست أسماؤه .

مخالفات وانحرافات

أحببت الدخول إلى هذه الجلسة بشكل مباشر دون تمهيد أو مقدمات، فبادرتُ قائلاً :

■ ماذا يمكن أن نسجله على المؤسسة الدينية الشيعية من انحرافات أو أخطاء في الفكر والسلوك بسبب ابتعادهم عن روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

– نحن ذكرنا في ما سبق جملة من انحرافاتهم، منها نقل التقليد من المعصوم إلى الفقهاء، وتغيير سيرة الأئمة (عليهم السلام) من العمل بالروايات إلى الرأي والاجتهاد، ومنها ادعاؤهم النيابة العامة عن الإمام المهدي (عليه السلام) وتصرفهم وفق ذلك بالأموال والنفوس، ومنها

تفسير القرآن بالرأي، ومنها تسليط (علم الرجال) على روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

■ حدثني عنها بالتفصيل لو سمحتَ .

– سأفرد لها جلسات خاصة لأهميتها، ولكن سأحدثك اليوم عن بعض الأخطاء التي لا تحتاج إلى بحث طويل للتعرف على مصداقيتها .

■ كما تشاء أخي، ماذا سيكون الموضوع الأول .

– الموضوع الأول هو تقسيم المجتمع إلى عوام يغرقون في جهل عميق بالكتاب والسنة، وإلى فقهاء أو مجتهدين يقلدهم الناس دون تمحيص؟

■ لقد وعدتني أن تذكر روايات أهل البيت (عليهم السلام) في تقسيم المجتمع ؟

– نعم، أخي العزيز، روى الشيخ الصفار (رحمه الله) عن يونس عن جميل قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**يغدوا الناس على ثلاثة صنوف عالم ومتعلم وغثاء؛ فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء**» ، وروى أيضاً بسنده عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**إن الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس غثاء؛ فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء**» – بصائر الدرجات ص٢٨، وقد وردت في هذا المضمون روايات عديدة أعرضتُ عنها اختصاراً، وهي تؤسس

أن الشيعة كلهم، بقضهم وقضيضهم، متعلمون من الأئمة (عليهم السلام)، فأين هذا التقسيم الجائر إلى فقهاء وعوام؟، نعم ربما يحصل التفاوت في المراتب العلمية لصنف "المتعلمين"، فتجد فيهم من يكون عالي الهمة في طلب الحديث، قوي الحفظ، سريع البديهة، صحيحاً في بدنه، فيكون تحصيله للعلم أكثر من غيره، لكن الكل يقعون في دائرة المتعلمين لعلوم أهل البيت (عليهم السلام) .

■ أحسنتم، وما هو الموضوع الآخر ؟

– الموضوع الآخر إن المصطلحات التي نبذها أهل البيت (عليهم السلام)، وحذروا شيعتهم منها، وجعلوا الركون إليها حراماً كحرمة الخمر والدم والخنزير، نجد أنها تستعمل بشكل كبير في الأدبيات والأوساط الحوزوية .

■ مثل ماذا ؟

– مثل الرأي ، والقياس ، والاجتهاد .

■ الأصوليون يقرون ببطلان هذه العناوين الثلاثة بمفاهيمها المستعملة في عصر النص، أما اليوم فإن استعمالها قائم على أساس تغيير استعمالاتها إلى مفاهيم مقبولة شرعاً .

– إذا صح هذا الكلام – وهو غير صحيح – فإننا سنسألهم : هل يجوز لنا أن نغير مفاهيم مصطلحات منبوذة أخرى مثل الزنا واللواط والسرقة ونستعملها في التعاملات المجتمعية، فنطلق الزنا واللواط على مفهوم الصداقة مثلاً ؟

- أعوذ بالله ، لا يجوز طبعاً، وإذا لم يكن حراماً فهو أمر شنيع ومستقبح .

- الموضوع المهم الآخر أن الفقهاء والمراجع قد سرقوا بعض ألقاب الأئمة المعصومين (عليهم السلام) .

■ لا قوة إلا بالله ... مثل ماذا أخي العزيز؟

- مثل لقب (الإمام)، كثير من المراجع في زماننا وقبله لا يمانعون أن يضع الناس لفظ (الإمام) قبل أسمائهم، بل بعضهم يضع هذا اللقب على كتبهم ورسائلهم العملية .

■ لكنهم يقولون إن لقب الإمام يطلق على (إمام الجمعة والجماعة) فما الضير أن يطلق على الفقيه أو المرجع؟ .

- إن الضير في استعمال كلمة (الإمام) على نحو الإطلاق، دون تقييد ذلك بجمعة أو جماعة أو شيء آخر، فاللفظ المطلق لا يليق إلا بالإمام المعصوم (عليه السلام)، ومثل هذا الانحراف إنما جاءنا من المخالفين، الذين كانوا يكثرون من استعمال لفظ (الإمام) مع فقهائهم ومحدثيهم، مثل قولهم الإمام أبو حنفية، الإمام البخاري، الإمام الشافعي ... الخ ، فإذا كان المخالفون سراقاً بائسين لألقاب أهل البيت (عليهم السلام) فهل نكون مثلهم كذلك ؟؟! .

■ أعوذ بالله تعالى، وماذا سرقوا من ألقاب شريفة أخرى ؟.

– لقب (آية الله العظمى) ، وهو لقب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويطلق أيضاً على بقية أولاده المعصومين (صلوات الله عليهم) .

■ وماذا يعني هذا اللقب الشريف ؟

– العظمى على وزن فُعلى التفضيل، والمعنى أعظم آية لله، وبما أن الخلق كلهم آيات لله، فإن المعنى هو أعظم خلق الله .

■ أعوذ بالله أن يكون أحد من المراجع فما دونهم أو فوقهم أعظم من أهل البيت (عليهم السلام) وهم مظاهر عظمة الله تعالى، ولكن أخي هل توجد نصوص لاختصاص هذه الألقاب بأهل البيت (عليهم السلام) بحيث لا يجوز أن نطلقها على غيرهم .

– ابتداءً نحن لا نحتاج إلى نصوص؛ بعد أن علمنا أن معنى هذا اللقب يتضمن التفضيل على سائر الخلق، ولكن هناك جملة من النصوص التي ذكرت هذا اللقب الشريف لأمير المؤمنين وبعض الأئمة (عليهم السلام)، ومنها :

أولاً : في زيارة أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، زار بها الصادق عليه السلام في سابع عشر ربيع الأول عند طلوع الشمس : «**السلام عليك يا وصي الأوصياء ، السلام عليك يا عماد الأتقياء ، السلام عليك يا ولي الأولياء ، السلام عليك يا سيد الشهداء ، السلام عليك يا آية الله العظمى**» .

المصدر : المزار للمشهدي (ت٦١٠) ص٢٠٦ .

ثانياً : روى الشيخ الصدوق (ت٣٨١) بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «**معاشر الناس ، إن علياً صديق هذه الأمة وفاروقها ومحدثها ، إنه هارونها ويوشعها وآصفها وشمعونها ، إنه باب حطتها ، وسفينة نجاتها ، وإنه طالوتها وذو قرنيها . معاشر الناس ، إنه محنة الورى ، والحجة العظمى ، والآية الكبرى ...**» .

المصدر : أمالي الصدوق ص ٨٣ .

ثالثاً : روى ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : «**أنا الآية العظمى ، والمعجز الباهر**»

المصدر : بحار الأنور ٣٣٦\٥٤ .

رابعاً : إحدى زيارات الإمام الجواد عليه السلام : «**السلام عليك أيها الطيب من الطيبين ، السلام عليك أيها الطاهر من المطهرين ، السلام عليك أيها الآية العظمى**» .

المصدر : بحار الأنور ٢١\٩٩ .

■ وماذا بعد يا أخي ، أنا متلهف لسماع المزيد ؟

– ظاهرة تقبيل اليد، وهي حماقة من حماقات الأعاجم، وفيها مخالفة لسنة المصافحة، وتجاوز على الأئمة (عليهم السلام) .

■ بصراحة، لم تكن هذه الظاهرة المقيتة تستهويني منذ زمن بعيد ، ولكن كيف يكون تقبيل اليد تجاوزاً على الأئمة (عليهم السلام) .

– الروايات التي تصرح باختصاص تقبيل اليد بالإمام المعصوم (عليه السلام) .

■ اذكرها لي جزاك الله خيراً .

– حباً وكرامة، سأذكر لك بعضها :

أولاً : الاصول الستة عشر ص٤٦ – أصل زيد النرسي ، قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فتناولت يده فقبلتها فقال : «**اما انه لا يصلح الا لنبي أو من أريد به النبي**» .

ثانياً : الكافي ١٨٥\٢ : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن رفاعة بن موسى ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**لا يقبل رأس أحد ولا يده إلا يد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو من أريد به رسول الله (صلى الله عليه وآله)**» .

ثالثاً : الكافي ١٨٥\٢ : عن علي بن مزيد صاحب السابري قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فتناولت يده فقبلتها ، فقال : «**أما إنها لا تصلح إلا لنبي أو وصي نبي**» .

■ وماذا بعد من الممارسات الخاطئة .

– عمامة رجال الحوزة ..

■ ما بها؟ .

– عمامة الشيطان ...

■ أعوذ بالله .. كيف، وضح أخي؟

– العمة الطابقية، هي العمة التي لا يدار شيء منها تحت الذقن أو الحنك، وتُستدل منها ذؤابة، بالضبط كالعمائم الشائعة في زماننا هذا بين المعممين، وقد ورد في بعض النصوص أنه الطابقية عمية إبليس

(الكافي ٤٦١\٦)، ويُعرف لبس العمامة الطابقية بـ"الاقتعاظ"، بينا يُعرف لبس العمامة المُسدلة بـ"التلحي" .

■ سبحان الله، وكيف يلبسونها اليوم وهم يعلمون أنها عمة إبليس؟

– هم يلبسونها لأنها أصبحت اللباس المتعارف في زماننا، ويعتقد المراجع أن تغيير الطابقية إلى العمامة الشرعية يعد اليوم من لباس الشهرة المحرم !

■ أعوذ بالله، وهل انقلبت الموازين؟ .

– أخي أنا أرفق بك لكثرة استعاذتك بالله تعالى، ولذلك سأورد لك هذا النص عن المرجع المعاصر السيد كمال الحيدري، يقول في كتابه (معالم التجديد الفقهي) ص١٨٢ : «التلحي هو إدارة العمامة تحت الحنك، والاقتعاظ شدها من غير إدارة، وسنة التلحي متروكة اليوم في أكثر بلاد الإسلام، كقصر الثياب في زمان الأئمة، فصارت من لباس الشهرة المنهي عنه» .

■ أخي، هل لنا أن نتوقف هنا، فإني أشعر بالتعب .

– كما تشاء يا حبيبي، لكن بودي أن أقول إن هذه المخالفات قد تبدو أحياناً سطحية وبسيطة، لكن التمعن فيها يكشف لنا أنها تتضمن مخالفات للسيرة الشريفة للمعصومين، وتغييراً في طريقتهم، واعتداءً على ألقابهم وخصوصياتهم، وهي انعكاس للمخالفات الكبرى التي سنتحدث عنها مستقبلاً في جلسات خاصة إن شاء الله تعالى .

انبلاج فجر الحق والحقيقة

عدتُ إلى منزلي والأفكار تتصارع في رأسي ، وكلمات زميلي (علي) تقرع سمعي بين الفينة والأخرى، لقد حانت لحظة المواجهة مع الذات، وأصبح ميزان الترجيح بين الحق والباطل على المحك، وأزفت ساعة اختيار الطريق، إنها لحظة صعبة في حياتي، لا تقل صعوبة عن لحظة ولوجي إلى عالم الدنيا يوم ولادتي، أو خروجي منها يوم وفاتي، لا مجال في هذا اليوم للصعود على التل، أو الوقوف في المنتصف، وليس في الأفق لون رمادي، كان الموروث الديني والاجتماعي وهالة التقديس تتصارع في قلبي مع الدليل العلمي، والطرح الرصين، وصدق الانتماء للأئمة المعصومين (عليهم السلام) .

لم تفارقني كلمات صديقي (علي)، لقد لمست فيها جذور العودة إلى سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، وبدت مفارقات الفكر والسلوك الديني لرجالات الحوزة شاخصة أمامي، كان زميلي (علي) قد أوقفني على كثير منها، بدءاً بالزي الديني وصولاً إلى عمق الفكر العقدي، فالعمامة التي يرتديها رجال الحوزة ومراجعهم هي العمامة الطابقية، وهي عمة إبليس كما ورد في بعض الروايات، وطبيعة العلاقة بين طلبة الناس والمراجع تبتعد كل البعد عن السيرة الصافية للأئمة المعصومين (عليهم السلام) وشيعتهم المخلصين، فقد استبدلوا المصافحة المستحبة بتقبيل اليد المقيت، والسؤال الواعي بالتقليد الأعمى، وقد سُرقت ألقاب

أهل البيت (عليهم السلام) وألصقت بالمراجع مثل لقب (الإمام) ولقب (آية الله العظمى)، وصار المراجع – دون حجة أو دليل – يتحكمون بصرف الخمس، يبيحون لهذا ويمنعون ذلك ويصالحون ذاك، والأدهى من ذلك ادعاؤهم النيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) دون دليل صحيح أو حجة قويمة .

ولأن العلم (نور يقذفه الله في قلب من يشاء)، فقد صغى عقلي لمنطق الحجة والدليل، إنه نور القرآن والرواية يتقد في مهجتي، فاليوم قد انبلج فجر الحق والحقيقة على هذا القلب بعد عمر من الإغراق في الظلام، ويبدو أن كلمات أخي (علي) قد وجدت لها مكاناً في قلبي، فقد لان هذا القلب بعد طول عكوفٍ على تصنيم الحوزة ورجالاتها، وأخذ بريق الآيات والروايات يخطف مني بريق المراجع المزيف، ولم تَعُد صورة المرجع كما كانت من قبل، وصرت – بشكل تدريجي – أستبدل التسليم والانقياد لهم بالتمحيص والتدقيق، فلا تقليد بعد اليوم إلا للأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ولا خضوع إلا لساداتنا أهل البيت (عليهم السلام)، وكنت أتذكر دائماً الصورة التي رسمها القرآن عن (بلعم بن باعورا)، أو عن أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل، أو الذين جعلوا من أنفسهم أرباباً من دون الله، أو الذين كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، أو الذين يحرفون الكلم ويكتمون الحق .

الحل البديل ... التفقه وتذاكر العلم والسؤال الواعي

اتضح لي من مجموع ما تقدم ، من روايات وشهادات القوم ، أن التقليد طارئ في الحالة الشيعية ، وليس ثمة مستند روائي أو قرآني يمكن الركون إليه في تدعيم التأصيل الشرعي له ، والذي يبدو أن الحالة الشيعية – من العوام والخواص– تقبلت مفهوم التقليد وتفاعلت معه لأنه يتماهى مع الميول البشرية في الظهور والتميز – بالنسبة للخواص– ، ومع الركون إلى الدنيا ونزع مشقة التعلم – بالنسبة لما يسمى بالعوام – ، ولكني كنت أبحث عن البديل العملي عن التقليد، فإنه من غير المعقول أن ننقض عقيدة راسخة في الموروث الشيعي ولا نقدم مشروعاً بديلاً .

وبعد استراحة بسيطة تناولنا فيها الغداء، وأدينا صلاة الظهرين، بادرت أخي (علي) وهو يحتسي كوب الشاي :

■ الآن ، اتضح لي – ولله الحمد – أن التقليد لغير المعصوم باطل بالعقل والنقل ، ولكن ما هو البديل العملي عن التقليد رعاك الله .

– أن البديل الشرعي للتقليد هو السؤال الواعي القائم على أساس أخذ العلم مع تمحيص السقيم من السليم والغث من السمين ، وإلى جنب السؤال الواعي أكد الأئمة (عليهم السلام) على (مذاكرة العلم) و (مجالس الذكر والحديث) و (لقاء الأخوان) و (إحياء ذكر أهل البيت) وكلها تصب في خانة إعداد جيل واعٍ متفقهٍ بروايات أهل البيت (عليهم

السلام) بعيداً عن التقليد الذي أصاب الأمة الشيعية بالخدر والوهن الفكري .

■ أنت عوّدتني على الروايات، فاذكرها لي بارك الله بك .

– حباً وكرامة، روايات عدة ذات دلالات متعددة، تجتمع على المعنى الذي قدمناه :

* الوسائل ١١٠\٢٧ : عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن أبي جعفر الأحول ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**لا يسع الناس حتى يسألوا ، ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم ، ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كان تقية**» .

* الكافي ٤٠\١ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز عن زرارة ومحمد بن مسلم وبريد العجلي قالوا : قال أبو عبد الله (عليه السلام) لحمران بن أعين في شئ سأله : «**إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون**» .

* الكافي ٤٠\١ علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن عبد الله بن ميمون القداح ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال : «**إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة**» .

* الكافي ٤٠\١ علي ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وآله : «**أفٍ لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه ، وفي رواية أخرى لكل مسلم**» .

* الكافي ٤١\١ علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عز وجل يقول : «**تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري**» .

* الكافي ٤١\١ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : رحم الله عبداً أحيا العلم قال : قلت : وما إحياؤه ؟ قال : «**أن يذاكر به أهل الدين وأهل الورع**» .

* الكافي ٤١\١ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن محمد الحجال ، عن بعض أصحابه رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فإن الحديث جلاء للقلوب ، إن القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث**» .

* الكافي ٤١\١ عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن عمر بن أبان ، عن منصور الصيقل قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : «**تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة**» .

* الكافي ١٧٩١٢ : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «**لقاء الاخوان مغنم جسيم وإن قلوا**» .

* الكافي ١٨٦١٢ : روى ثقة الإسلام الكليني عن محمد بن يحيى ، عن يزيد بن عبد الملك ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**تزاوروا فإن في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا ، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم وإن تركتموها ضللتم وهلكتم ، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم**» .

* مستدرك الوسائل ٣٢٥١٨ : أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله الحسني (رحمه الله) ، قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) ، يقول : «**ملاقاة الاخوان نُشرة، وتلقيح للعقل ، وإن كان نزراً قليلاً**» .

■ أحسنت أخي، الروايات السابقة ذكرت (السؤال) ، (مذاكرة العلم) ، (ملاقاة الإخوان)، لكنها لم تذكر شيئاً عن (التمحيص) أو ما أسميته (السؤال الواعي) الذي تكلمتَ عنه سابقاً .

– يتضح ذلك من خلال جملة أدلة روائية معتبرة :

أولاً : سيرة الأصحاب القائمة على أساس السؤال الواعي، وقد مرت علينا نماذج منها، وكيف كان الأصحاب يسألون (هذا رأيك أم شيء ترويه) أو (لا نترك الرواية لقول ابن بكير) وغيرها من أساليب التمحيص العامة .

ثانياً : روايات حل التعارض والاختلاف بين الاحاديث، كلها أوكلت الأمر إلى المكلف نفسه، ولم يرد نص واحد عندنا يجيز إيكال حل التعارض إلى الآخرين .

ثالثاً : الروايات العامة الرادعة عن التقليد، وصفة التقليد هو الأخذ دون تمحيص أو الأخذ دون معرفة الدليل .

رابعاً : إن معنى (المذاكرة) أو (التذاكر) يقتضي التفاعل، وهو حركة الفعل باتجاهين، وهذا أبلغ تعبير عن (السؤال الواعي)، إذ لو كان السؤال سؤالَ تقليدٍ وتسليمٍ لم يَجُز أن يُسمى تذاكراً أو مذاكرة، وفي العادة تكون المذاكرة بين مجموعة تزيد على اثنين، وهي توحي بالتعاون، وإفادة بعضهم من البعض الآخر كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «**المؤمنون خدم بعضهم لبعض** ، قلت : وكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض ؟ قال : **يفيد بعضهم بعضاً**» – الكافي ١٦٧/٢ .

■ جزاك الله خيراً أخي العزيز، الآن أنا أمتلك مشروعاً وطرحاً بديلاً عن التقليد، يمكنني أن أتسلح به في مواجهة اعتراضات المدرسة الأصولية وتشكيكاتها .

النيابة العامة

كثيرة هي المباحث التي قررتُ خوض غمار النقاش فيها مع أخي (عليّ)، غير أن مراعاة الأولويات جعلني أقدم مسألة نيابة الفقهاء عن

الإمام المهدي (عليه السلام) في زمان الغيبة الكبرى، فهذه المسألة تمتلك رمزية عقائدية كبيرة في الوجدان الشيعي، بل هي عند المدرسة الأصولية أصل كبير تنشأ عنه تفريعات عدة في مسائل عقدية وفقهية متنوعة .

كان صباحاً بارداً من صباحات مدينة النجف الأشرف، تواعدنا لتناول الفطور في شارع الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وبعد الإفطار جلسنا لتناول الشاي العراقي المسخن على الفحم، نظرتُ إلى أخي (علي) وأنا أدير الملعقة في كوب الشاي، وقلت له :

■ حدثني أخي – لو سمحت – عن مسألة (النيابة العامة)، فهي واحدة من أخطر ثوابت "التصنيم" التي نشأنا عليها في البيئة النجفية الحوزوية .

– إنها – برأيي – أكبر كذبة على الإمام المهدي (عليه السلام) في زمان الغيبة الكبرى .

■ يا الله ! لهذه الدرجة !

– نعم أخي ... ادعاء هذا المقام الرفيع – دون مستند شرعي واضح – أمر عظيم (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً)

■ لكني سمعت بعضهم يقول إنه أمر فطري، عقلي، مجمع عليه عند ذوي الألباب والأفهام السليمة .

– كيف ذلك ؟

■ كانوا يقولون لنا إنه من غير المعقول أن يمضي الإمام في غيبة طويلة دون أن ينصب لنا من يقوم مقامه، أو يترأس الشيعة في عالم مليء بالفتن والانحرافات .

– سأثبت لك أخي أن النيابة العامة في زمان الغيبة الصغرى باطلة عقلاً وشرعاً، وهي عقيدة واهية ليس لها مستند صحيح من كتاب أو سنة أو حتى عقل .

■ قبل ذلك أجبني عن إشكال القوم الذي ذكرته لك .

– أخي (بسام)، العقل ، بما هو عقل بشري بعيداً عن سوء التوظيف وتبعية العواطف أو الموروث ، لا يمتنع من قبول بقاء الشيعة في زمان الغيبة دون قائد مباشر لهم، إذا علمنا أن واحدة من شؤون الغيبة ومختصاتها هو الغربلة والتمحيص، وهي مفردات تنسجم مع بقاء الشيعة تحت الضغط المستمر والامتحان البطيء، الذي يهدف إلى تحقيق عملية الفرز بين "الشيعة الثابتين" ، "المنتظرين" ، " المتمسكين بالأمر الأول" ، " المُسَلِّمين لأئمتهم"، وبين المتشيعة الذين سيخرجون عن خط التبعية للإمام المعصوم (عليه السلام) إلى خطوط و"سبل" متعددة ، وإلى تبعية أشخاص "غير معصومين" يضعون لهم من القداسة والاحترام ووجوب الطاعة والالتزام أكثر بكثير من أئمتهم المعصومين المطهرين ، أو بين أولئك " المستعجلين" الذين لن يكونوا بمأمن عن الهلاك يوم القيامة كما نصت الروايات الشريفة .

■ أحسنت كثيراً، أكمل جزاك الله خيراً .

– أنت من المحسنين، إعلم أخي أن الشيعة وفقهاءهم منذ بداية الغيبة الكبرى وحتى قرون وأعصار متأخرة لم يكونوا يدّعون للفقيه منصب النيابة عن الإمام المعصوم (عليه السلام)، ولو كانت النيابة العامة عقيدة حقة لكان أولى الناس بالحديث عنها فقهاؤنا ومحدثونا من أمثال الشيخ الصدوق وابن قولويه والنعماني وغيرهم .

■ وهل تخلو أقوال هؤلاء العلماء من ذكر النيابة العامة .

– ليس فقط تخلو، وإنما فيها إشارات إلى نفي النيابة العامة، كما سنبين بعد قليل إن شاء الله تعالى، كما يفهم من كلام العلامة الحلي أن منصب النائب لم يكن موجوداً للفقيه بدليل قوله في مبحث الأخماس : «يستحب صرفها إلى الإمام أو نائبه ولو تعذر ذلك صرفت إلى الفقيه المأمون» تحرير الأحكام ٤٣٠١١، فلم يعطِ للفقيه النيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) حتى في مسألة الخمس .

■ يعني هذا الكلام في القرن السابع الهجري .

– نعم يا عزيزي، وظل الحال هكذا حتى القرن العاشر للهجرة، ولعل أكثر التغيير الذي بدا واضحاً في قراءة النصوص وتوظيفها باتجاه عقيدة (النيابة العامة) كان في زمن المحقق الثاني الشيخ علي بن الحسين الكركي المتوفى سنة ٩٤٠ هـ فقد بدأ هذا الشيخ بتفسير النصوص تفسيراً مغايراً لما عليه ثوابت السابقين، فإننا لم نشهد فقيهاً شيعياً أدعى النيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) بالمعنى المتعارف عليه سبق الشيخ الكركي ولم تكن هذه الدعوى بالأساس من الشيخ وإنما

هي عبارة عن منصب حكومي منحه الشاه طهماسب للشيخ الكركي سنة ٩٣٠ هـ ، ومن هنا يتضح أن السياسة لعبت دوراً خبيثاً في إنضاج هذه النظرية .

■ لكني أعرف – بحدود اطلاعي – أن عمدة أدلتهم في ذلك هو توقيع اسحاق بن يعقوب الذي يقول فيه مولانا الحجة بن الحسن العسكري (صلوات الله عليه) : «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم**» كمال الدين ص٤٨٤ ؟

ما إن سمع أخي (عليٌّ) هذا المقطع من التوقيع الشريف حتى تنفس بعمق وهو يسند ظهره إلى الأريكة التي كان جالساً عليها، وأخرج زفيراً من فمه وكأنه ينفث هموماً كانت عالقةً في صدره، ثم نظر إلي بنظرة يشوبها الألم، وقال :

– هذا التوقيع مظلوم، فلطالما صار سلعة رخيصة في بازارات الترويج والتسويق عند المرجعية الأصولية، وقد تعرض لشيء كثير من فنون الانحرافات الفكرية الاصولية، مثل التأويل والتحريف والانتقائية وسوء التوظيف .

■ أخي العزيز، لقد عودتني على التفصيل وبسط الكلام، فأرجو منك – غير مأمور – أن تفصّل القول في ما ذكرتَ من عبارات ومصطلحات .

– أما التسويق والترويج فإنك لا تجد كتاباً أو صحيفة أو موقعاً أو قناة فضائية تتحدث عن المرجعية إلا وجعلت من هذا التوقيع الشريف واجهة لتمرير الأفكار وتسويق الأجندة والمشاريع .

■ ليس عيباً إذا كان استدلالهم به صحيحاً .

– هو كذلك ، لكن استدلالهم بالتوقيع الشريف حمل كل أشكال الانحرافات الفكرية الاصولية، مثل التأويل والتحريف والانتقائية وسوء التوظيف .

■ فلنبدأ بالتأويل لو سمحت .

– أما التأويل، فإن التوقيع الشريف – كما تحدثنا في جلسات سابقة – جاء مجملاً من جهات عدة، الأولى عدم ذكر الأسئلة في الرواية، وقد اكتفى اسحاق بن يعقوب بقوله : « سألت محمد بن عثمان العَمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عليه السلام)»، ولم يذكر لنا نصَّ الأسئلة وإنما اكتفى بذكر الأجوبة، وهذا من نقاط الضعف في النص؛ فإن خفاء السؤال سيفتح باب التأويل والتوظيف بشكل مريع، وهو ما حصل فعلاً .

■ كيف ؟

– أخي العزيز، دعني أسأل : ما المقصود من الحوادث الواقعة؟ أهي حوادث مخصوصة بعينها أم عموم الحوادث؟ وهل هي الحوادث التي كانت تقع في زمان السائل أم عموم الحوادث إلى زمن الظهور

المقدس أم هي عموم الحوادث إلى يوم القيامة؟ وما المقصود برواة الحديث : هل هم مطلق الرواة أم خصوص الوكلاء المنصوبين من قبل الإمام المهدي (عليه السلام)، الذين كانوا يشكلون حلقة وصل بينه وبين الشيعة في زمان الغيبة الصغرى؟ وما المقصود بقوله (فارجعوا) هل هو الرجوع لروايتهم أم لآرائهم واجتهاداتهم؟ وكذا ما المقصود بقوله (حجتي عليكم) أهو حجية الرواية أم حجية الرأي والاجتهاد؟ وما المقصود بقوله (عليه السلام) : «**وأنا حجة الله عليهم**» كما في بعض نسخ كمال الدين، فلماذا خصهم بحجيته دون غيرهم .

■ أعتقد أننا تكلمنا في ما سبق عن هذا، لكن ما جواب الأصوليين عن هذه التساؤلات؟

– إعلم أخي أنهم حتى لو أجابوا فلن تكون أجوبتهم مبنية إلا على الاحتمال والاستحسان والذوق الشخصي، لعدم وجود نص صريح في جواب هذه الإشكالات، وبهذا لن يكون لأجوبتهم أية قيمة علمية في موازين الاستدلال؛ لأنهم ذكروا في كتب المنطق عندهم (إذا وقع الاحتمال بطل الاستدلال)، هذا إذا كان الاحتمال مبنياً على نصوص معصومية، كيف والمسألة خلية من أي نص صريح !

■ وهل عندك أنت جواب عن هذه التساؤلات؟

– نعم، عندي جواب عليها، ولديّ أيضاً قرائن وشواهد على صحة هذا الجواب .

■ أفدنا بها جزيت خيراً .

– بحسب فهمي القاصر، أعتقد أن المقصود من قوله (عليه السلام) : «**الحوادث الواقعة**» إنما هي الحوادث التي كانت تقع في زمان السائل، ويشهد لذلك أن جلَّ الأسئلة الواردة في التوقيع الشريف إنما تتحدث عن وقائع ومسائل تختص بزمان السائل، وهي : (أمر المنكرين للإمام من أهل بيته وبني عمه) ، (سبيل جعفر الكذاب وولده) ، (الفقاع والشلماب) ، (أموال الصلة التي كانت ترسل للإمام) ، (السؤال عن ظهور الفرج) ، (مزاعم وأباطيل الغلاة) ، (محمد بن عثمان العَمري) ، (محمد بن علي بن مهزيار الأهوازي)، (صلة اسحاق بن يعقوب) ، (المتلبسون بأموال الإمام) ، (على الغيبة)، (وجه الانتفاع بالإمام) ، وهي – كما ترى – مختصة بمسائل ذلك الزمان، وليس فيها مسائل عامة أو قواعد تأصيلية لزمان الغيبة الكبرى .

■ وهل هذه القرينة قطعية ؟

– هي قرينة قوية إذا ضممنا إليها بقية القرائن، وهي أن التوقيع الشريف صدر في زمان السفير الثاني، وهو الزمان الذي يكون الرجوع فيه للإمام عن طريق وكلائه الخاصين، فلا يُعقل التأسيس لمرجعية النيابة العامة مع إمكانية وصول الأسئلة للإمام أو للسفير المنصوب من قبله أو الوكلاء الذين يعملون تحت إمرة السفير .

■ وهل ثمة احتمال آخر للحوادث الواقعة؟

– الاحتمال الثاني للحوادث الواقعة هي المنازعة في دين أو ميراث، كما في مقبولة عمر بن حنظلة وغيرها، ويكون الرجوع للرواة

لأخذ الحكم الروائي عنهم، ويقع هذا الأمر في باب القضاء والحكومات، لا في باب التقليد أو الرئاسة أو الزعامة الدينية كما توهم الأصوليون .

■ وماذا تفهم من قوله (عليه السلام) : «**رواة حديثنا**» ؟

– يقرب في الذهن احتمالان : الأول : أن المقصود منهم خصوص الوكلاء المنصوبين من قبل الإمام المهدي (عليه السلام)، والثاني أن المقصود هو عموم رواة الحديث، وفي كلا الاحتمالين ، مصدر الحجية هو روايتهم وليس آراءهم واجتهاداتهم .

■ فلماذا أرجع التوقيع إلى أشخاصهم ولم يُرجع إلى رواياتهم؟

– أخي العزيز، لقد نظرتُ في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ورواياتهم، فلم أجد أن ثمة حجية للرأي أو لنظر الفقيه واجتهاده، وإنما التركيز ومبنى الحجية على الرواية والنقل عن الإمام المعصوم (عليه السلام)، فإذا عرضنا هذا النص في توقيع إسحاق بن يعقوب على بقية الروايات أنتج معنا أن حجية الراوي من جهة روايته لا من جهة رأيه، أما لماذا أرجع إلى أشخاصهم فهذا يختلف تفسيره باختلاف الاحتمالين المذكورين للرواة، فإذا قلنا أن الرواة هم الوكلاء فهذا واضح أن الرجوع إنما يكون لشخص الوكيل لأخذ التوقيع عنه، وإذا قلنا إنهم عموم الرواة والرجوع إليهم في المنازعة والقضاء فهذا واضح أيضاً؛ لأن المؤمنين سيرجعون إلى أشخاصهم لأخذ الحكم الرواية .

■ وهل عندك أدلة على الاحتمالين المذكورين؟

– من القرائن القوية أن مصطلح (الإرجاع) قد تكرر بحق السفراء أو الوكلاء المنصوبين من قبل الإمام (صلوات الله عليه)، من ذلك ما رواه الطوسي أن أبا جعفر محمد بن عثمان العَمري (قدس الله روحه) جمع وجوه الشيعة وأعيانهم قبل موته . فقال لهم : «إن حدث علي حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه» – غيبة الطوسي ص٣٧١ ، وروى الطوسي أيضاً أن أبا جعفر العَمري لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة ، منهم أبو علي بن همام، وأبو عبد الله بن محمد الكاتب، وأبو عبد الله الباقطاني، وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي، وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر ، فدخلوا على أبي جعفر (رضي الله عنه) فقالوا له : «إن حدث أمر فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الامر (عليه السلام) والوكيل له والثقة الأمين ، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت» غيبة الطوسي ص٣٧١ .

■ وهل يوجد قرائن أخرى ؟

– نعم، قوله (عليه السلام) : «**وأنا حجة الله [عليهم]**»، بإثبات كلمة (عليهم) في نسخ كمال الدين وبعض نسخ غيبة الطوسي[1]، وهو أقدم مصدر لهذا التوقيع الشريف، وهذه اللفظة توحي بشيء من الاتصال بين الإمام وبين أولئك الرواة، فكما إن الرواة في تواصل مباشر مع الناس (حجتي عليكم) ، فإن الإمام في تواصل مباشر مع الرواة (حجة الله عليهم)، وبدون هذا التفسير سيكون التخصيص بكلمة (عليهم) ضرباً من اللغو، او الكلام غير المفهوم، فالإمام حجة على كل الناس، لا فقط على الرواة، والله تعالى هو العالم، لكن نقطة الضعف هنا أن أغلب المصادر التي نقلت عن كمال الدين كالاحتجاج وبعض نسخ الخرائج لم تذكر كلمة (عليهم) .

■ يعني أنت ترجح أن المقصود من الرواة ههنا هم الوكلاء؟

– كلا الاحتمالين مقبولان عندي بالتفصيل الذي مرَّ .

■ وهل عندك ما ينفي أن يكون المقصود بالتوقيع الشريف نيابة الفقهاء العامة في زمن الغيبة الكبرى، حتى نستكمل أطراف الاحتجاج على المدرسة الأصولية .

---

١ في بعض نسخ الخرائج لا توجد كلمة (عليهم) ، أما نسخ غيبة الطوسي فبعضها يخلو من هذه الكلمة ، وفي البعض الاخر يوجد (عليكم) ، وقد نقل الحر العاملي هذا المقطع عن كمال الدين من دون ذكر كلمة (عليهم) كما في الفصول المهمة ٥٣٩١١ ، كذا في البحار نقلاً عن الاحتجاج ، فقد نقلها أحيانا بدون كلمة (عليهم) وأحياناً بكلمة (عليكم) .

– أخي العزيز، لو كان المقصود من التوقيع الشريف التأسيس للنيابة العامة، فكان الأجدر أن يأتي التوقيع الشريف في أخريات أيام السفير الرابع (علي بن محمد السمري)، وليس في زمان السفير الثاني، وأن يصدر ابتداءً من الإمام لا إجابة عن سؤال ضمن مجموعة كبيرة من الأسئلة، كذلك فإنه لو كان صحيحاً فسيكون مضمونه جلياً في كلمات وسيرة الفقهاء والمحدثين في بدايات الغيبة الكبرى .

■ أنا سمعت من بعض الشخصيات الأكاديمية والحوزوية الرفيعة، يقول إن توقيع اسحاق بن يعقوب هو آخر توقيع صدر من الإمام (صلوات الله عليه) .

– ستجد كثيراً من هؤلاء المدلسين في داخل الحوزة وخارجها، الحقيقة أن توقيع إسحاق بن يعقوب إنما صدر في زمان السفير الثاني، وآخر توقيع صدر من الإمام المهدي (عليه السلام) للسفير الرابع يخلو من أي إشارة أو ذكر لفرية النيابة العامة، وهو مروي في مصدرين قدمين هما : كتاب (كمال الدين) للشيخ الصدوق، وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي .

■ وماذا ينص هذا التوقيع الأخير عن السفير علي بن محمد السمري .

– قال الشيخ الطوسي في غيبته : أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال : كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري قدس سره ، فحضرته قبل وفاته بأيام

فأخرج إلى الناس توقيعا نسخته : «**بسم الله الرحمن الرحيم : يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً . وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» . قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه ، فقيل له : من وصيك من بعدك ؟ فقال : لله أمر هو بالغه وقضى – غيبة الطوسي ص٣٩٥ .

■ سبحان الله ... سألوه لمن الأمر بعدك فقال : لله أمر هو بالغه !

– نعم، أخي، لو كانت النيابة العامة صحيحة، لذكر لهم نص التوقيع الشريف عن الحوادث الواقعة ، لكنه قال : «لله أمر هو بالغه» .

■ دليلهم الآخر هو مقبولة عمر بن حنظلة .

– رواية عمر بن حنظلة، مختصة برفع المنازعات في الدين أو الميراث أو ما شاكل، فما علاقة هذا الأمر بالنيابة عن الإمام المعصوم (عليه السلام) بمعناها المتقدم ،؟ فقد روى الشيخ الكليني وغيره عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَيْن أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى

القضاة أيحل ذلك، قال: «**من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإنْ كان حقاً ثابتاً له لأنّهُ أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أنْ يُكفر به قال الله تعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ}**» قلتُ: فكيف يصنعان، قال: «**ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله**»[1]، ويؤديها ما رواية عن أبي خديجة : «**فإني قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه**»[2] .

■ المقبولة أثبتت للفقيه منصب القضاء .

– القضاء بين الشيعة وفق روايات أهل البيت (عليهم السلام) أمر ثابت وصحيح، ولكن أين ذلك من منصب النيابة عن الإمام وما يترتب عليه من استحقاقات وأحكام؟ .

■ وهل ثمة نصوص رواية تؤيد ما ذهبتم إليه من عدم وجود النيابة العامة في زمان الغيبة الكبرى ؟

– روى الشيخ النعماني بسنده ، عن عبد الله بن سنان ، قال : " دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله (عليه السلام) ، فقال : «**كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ، ولا علماً يرى ، فلا ينجو من**

---

١ الكافي ١\٦٧ .
٢ الكافي ١\٦٧ .

تلك الحيرة إلا من دعا بدعاء الغريق» . فقال أبي : هذا والله البلاء ، فكيف نصنع – جعلت فداك – حينئذ ؟ قال : «**إذا كان ذلك – ولن تدركه – فتمسكوا بما في أيديكم حتى يتضح لكم الأمر**» – غيبة النعماني ص١٦١ .

■ وما وجه الدلالة في هذا النص الشريف ؟

– الإمام وصف زمان الغيبة بأن الشيعة لا ترى (إمام هدى) ولا (علماً يُرى)، فلو كانت النيابة العامة موجودة ومشرعة لم يصحَّ هذا الوصف، وكانت الفقهاء النواب بمثابة الأعلام التي تراها الشيعة في كل يوم .

■ سبحان الله ، أنت أول شخص أسمع منه هذا الاستدلال .

– كلا، لست الأول، بل أنا أخذتُ الاستدلال بهذه الرواية من شيخنا الأقدم ابن أبي زينب النعماني (رحمه الله) المتوفى سنة ٣٦٨ هـ، وهو تلميذ ثقة الإسلام الكليني، قال (رحمه الله) في تعليقه على هذا الخبر : « وفي قوله في الحديث الرابع من هذا الفصل – حديث عبد الله بن سنان – كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علما يرى ، دلالة على ما جرى وشهادة بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام (عليه السلام) وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم ، وانقطاع نظامهم ، لأن السفير بين الإمام في حال غيبته وبين شيعته هو العلم ، فلما تمت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام ولا ترى حتى

يظهر صاحب الحق (عليه السلام) ووقعت الحيرة التي ذكرت وآذننا بها أولياء الله» – غيبة النعماني ص١٦٤ .

■ سبحان الله، ما اروع كلامه (رحمه الله) .

تفسير القرآن

كانت جلستنا الجديدة مخصصة للحديث عن موضوعة (تفسير القرآن)، وكنتُ قررتُ أن أبتدأ الكلام، فبادرتُ قائلاً :

■ ما أهمية مبحث التفسير في المنظومة الإسلامية والشيعية ؟

– موضوع التفسير خطير بخطورة موقعية القرآن الكريم في المنظومة الإسلامية، فالقرآن هو أحد الثقلين، وهو أول مصدر من مصادر التشريع، كما إنه أحد أبرز آليات تمحيص متون الأحاديث، وحل التعارض بين الروايات المختلفة ، والصفة المهمة في النص القرآني أنه حمال ذو وجوه، بحيث إن كل الفرق المنحرفة والنحل المبطلة قد استدلت على ضلالاتها وأباطيلها من القرآن الكريم .

■ سبحان الله تعالى، أيعقل ذلك، القرآن الكريم الذي هو هدى ونور، كيف يكون ظلمة ومصدر للضلال .

– أخي العزيز، القرآن آيات لقوم يعقلون، ويتلونه حق تلاوته، وهم أهل البيت (عليهم السلام)، وأي ولوج إلى القرآن الكريم دون المرور عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) لن يقود الإنسان إلا إلى الضلال، تدبر أخي في قوله تعالى : {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ

آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} فصلت٤٤ ، وقد ورد في الأثر : «**كم من ضلالة زُخرفت بآية من كتاب الله كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة المموهة ...**» – المحاسن ص٢٣٠ .

■ وما هي منهجية أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن ؟

– أولاً : وردت روايات كثيرة تنهى عن **(تفسير القرآن بالرأي)**، وقد جاء بعض تلك الروايات بلسان التشديد بحيث قرنت تفسير الرأي بالكفر !

■ سبحان الله، وهل لك بسرد بعض تلك الروايات ؟

– حباً وكرامة، من هذه الروايات :

* كمال الدين ٢٥٧ : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال : حدثني عمي محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الصيرفي الكوفي ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**لعن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً ، ومن جادل في آيات الله فقد كفر ، قال الله عز وجل : " ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد" . ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب ...** » .

* الوسائل ٣٣١٢٧ : الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في (تفسيره) عن آبائه ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) – في حديث – قال : «**أتدرون متى يتوفر على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة ؟ إذا لم يقل في القرآن برأيه ، ولم يجف عنه ، ولم يستأكل به ، ولم يراء به ، وقال : عليكم بالقرآن فإنه الشفاء النافع ، والدواء المبارك ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ثم قال : أتدرون من المتمسك به الذي بتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسايطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، وقياس الفاسقين ، فأما من قال في القرآن برأيه ، فان اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وكان كمن سلك طريقاً مُسَبعاً من غير حفاظ يحفظونه ، فان اتفقت له السلامة فهو لا يعدم من العقلاء الذم والتوبيخ ، وإن اتفق له افتراس السبع ، فقد جمع إلى هلاكه سقوطه عند الخيرين الفاضلين ، وعند العوام الجاهلين ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، وكان مثله مثل من ركب بحراً هائجاً بلا ملاح ولا سفينة صحيحة ، لا يسمع بهلاكه أحد إلا قال : هو أهل لما لحقه ، ومستحق لما أصابه**» .

* تفسير العياشي ١٧١١ : عن هشام بن سالم (ثقة ثقة) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر ، وان أخطأ كان إثمه عليه**» .

* عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء**» .

* عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل عن الحكومة قال : «**من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر ، ومن فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر**» .

* أمالي الصدوق ٥٦ : حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رحمه الله) ، قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، قال : حدثنا أبي ، عن الريان بن الصلت ، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل : «**ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني**» .

* وسائل الشيعة ٣٧\١٢٧ : في رسالة الإمام الصادق لشيعته : «**أيتها العصابة المرحومة المفلحة ! إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير ، واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس ، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شئ ، وجعل للقرآن وتعلم القرآن أهلاً ، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا في دينهم بهوى ولا رأي ولا مقاييس ، وهم أهل الذكر الذين أمر الله الأمة بسؤالهم**» .

* تفسير العياشي ١٧\١ : عن أبي الجارود قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : «**ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم ، فان الرجل ينزل بالآية فيخر بها أبعد ما بين السماء والأرض**» .

* الأصول الستة عشر ٦٤ : قال جابر وسمعته يقول إن أناساً دخلوا على أبي رحمة الله عليه فذكروا له خصومتهم مع الناس، فقال لهم : «**هل تعرفون كتاب الله ما كان فيه ناسخ أو منسوخ قالوا لا فقال لهم وما يحملكم على الخصومة لعلكم تحلون حراماً وتحرمون حلالاً ولا تدرون إنما يتكلم في كتاب الله من يعرف حلال الله وحرامه**، قالوا له : أتريد أن تكون مرجئة؟ قال لهم أبي : **لقد علمتم ويحكم ما أنا بمرجئي ولكني أقربكم إلى الحق**» .

* أمالي الصدوق ٥٠٧ : عن الباقر عن رسول الله أنه قال : «**ومن أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك**» .

■ لكن سمعت وقرأت من أقطاب المدرسة الأصولية كلاماً يذمون فيه التفسير بالرأي ؟

– هم يذمون جزءاً من التفسير بالرأي، وهو التفسير بالذوق والهوى، ولا يذمون استعمال العقل البشري والنظر التفسيري المبني على اللغة والسياق في تفسير الآيات بعيداً عن روايات أهل البيت (عليهم السلام) ، فضلاً عما يسمونه بـ"تفسير القرآن بالقرآن"، مع إنهم في تفاسيرهم ومباحثهم يستعملون كل أنواع التفسير بالرأي !

■ وما معنى التفسير بالرأي ؟

– هو تفسير القرآن الكريم بغير الرجوع إلى روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

■ وما دليلك ؟

– مرَّ علينا رواية الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في تفسيره الشريف : «**هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسايطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، وقياس الفاسقين**» فجعل التفسير بالرأي في مقابل الأخذ عن أهل البيت (عليهم السلام) ، وكذلك ما ورد في توحيد الصدوق أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لرجل : «**فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء**»، والعلماء هم أهل البيت (عليهم السلام) ، وكذلك في وسائل الشيعة ١٩١\٢٧ عن المعلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) في رسالة : «**وإياك و إياك وتلاوة القرآن برأيك ، فان الناس غير مشتركين في علمه ، كاشتراكهم فيما سواه من الأمور ، ولا قادرين على تأويله ، إلا من حده وبابه الذي جعله الله له فافهم إن شاء الله ، واطلب الأمر من مكانه تجده إن شاء الله**» ، والنصوص في ذلك عديدة .

■ على ذلك يشترط في المفسر أن يُفسر الآية وفق روايات أهل البيت (عليهم السلام) ؟؟

– نعم، هذا فرض لازم، وبخلافه سيكون التفسير بالرأي .

■ ولكن هذا يتنافى مع مبدأ حجية الظواهر، يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي : «ورد في حجية الظواهر عن الإمام الصادق (عليه السلام) لمن وضع على إصبعه مرارة لجرح أصابه كيف يتوضأ ؟ قال : يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وهو يدل على حجية ظواهر الكتاب العزيز» كما في مقدمته على أصول الفقه للمظفر ج١ ص١٣ .

- إن هذه الرواية ليس فيها أي دلالة على حجية الظاهر القرآني، بدليل أن الإمام أعطى حكماً تفصيلاً، والآية مجملة، وهذا يعني ان مثل هذه الاستدلالات خاصة بالمعصوم (عليه السلام)، فظاهر الآية إجمال لقاعدة عامة، والإمام استنبط منها حكماً تفصيلاً، فهل هذا يعني العمل بحجية الظاهر؟ .

■ وما المقصود أخي بحجية الظواهر؟ .

- حجية الظواهر تعني أن نترك عموم القرآن على عمومه، وخصوصه على خصوصه، والمطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده، والمجمل على إجماله، ونحتج بها ما لم يرد نص يقيد أو يخصص أو يفسر، وهذا يتناقض تماماً مع أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، منها ما سيأتي من روايات حول اختصاص تفسير القرآن بهم (عليهم السلام)، وما سيأتي أيضاً من نصوص أن القرآن ليس ككلام البشر، وما ورد أن الآية ينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وأخرها في شيء، وما ورد في النص المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«إن الآية ربما كان لفظها العموم ومعناها معنى الخصوص، ومنه ما كان لفظه العموم ومعناه معنى العموم، ومنه ما كان لفظه لفظ الخصوص ومعناه معنى العموم»[1] ، ومن الروايات المفيدة في نفي حجية الظواهر القرآنية ما أورده علي بن الحسين المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلاً من تفسير النعماني بإسناده ، عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق (عليه السلام) قال : «**إن الله بعث محمداً** ، **فختم به الأنبياء ، فلا نبي بعده ، وأنزل عليه كتاباً ، فختم به الكتب ، فلا كتاب بعده ... إلى أن قال : فجعله النبي (صلى الله عليه وآله) علماً باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس، وهم الشهداء على أهل كل زمان ، حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر، وطلب علومهم، وذلك أنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالخاص وهم يقدّرون أنه العام ، واحتجوا بأول الآية ، وتركوا السنة في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام، وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله ، فضلوا وأضلوا، ثم ذكر (عليه السلام) كلاماً طويلاً في تقسيم القرآن إلى أقسام وفنون ووجوه، تزيد على مائة وعشرة ... إلى أن قال (عليه السلام) : وهذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق ، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم ، ولهذه العلة وأشباهها لا يبلغ**

---

١ ناسخ القرآن ص٢٣١ .

أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى ، إلا نبيه وأوصياؤه (عليهم السلام) .

واعلموا رحمكم الله : أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني، وأسباب التنزيل، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والعميق، والظاهر والباطن والابتداء والانتهاء، والسؤال والجواب، والقطع والوصل، والمستثنى منه والجار فيه، والصفة لما قبل مما يدل على ما بعد، والمؤكد منه، والمفصل، وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حلاله وحرامه، الذي هلك فيه الملحدون ، والموصول من الألفاظ، والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده، فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله، ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنم و بأس المصير»[1] .

■ رائعة هذه الرواية، ولكن هل توجد تصريحات للمحدثين حول حجية ظاهر الآيات القرآنية ؟

– تصريحات عديدة نكتفي بالبيان الرائع لشيخنا الأقدم النعماني (ت ٣٨٦ هـ) صاحب كتاب الغيبة (قدس الله روحه)، الذي قال : «فإن القرآن مع العترة والعترة مع القرآن، وهما حبل الله المتين لا يفترقان كما

---

١ وسائل الشيعة ٢٧\٢٠٠

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي ذلك دليل لمن فتح الله مسامع قلبه ومنحه حسن البصيرة في دينه على أن من التمس علم القرآن، والتأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام، والخاص والعام من عند غير من فرض الله طاعتهم، وجعلهم ولاة الأمر من بعد نبيه، وقرنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأمر الله بالقرآن وقرن القرآن بهم دون غيرهم، واستودعهم الله علمه وشرائعه وفرائضه وسننه فقد تاه وضل وهلك وأهلك»[١] .

■ الآن لو سمحت بذكر الروايات التي تحصر مرجعية تفسير القرآن الكريم بأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) .

– روايات كثيرة تفوق حد الإحصاء، ننقل جانباً منها، ونضعها ضمن عناوين .

■ ما هو العنوان الأول ؟

– العنوان الأول **(إن تفسير القرآن لا تبلغه عقول الرجال)**، وفيه روايات عدة :

* المحاسن ٢٦٧\١: عن الحسن بن علي بن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عمن حدثه ، عن معلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال**» . ورواه الكليني في الكافي ٦٠\١ .

---

١ غيبة النعماني ص٥١ .

* المحاسن ٣٠٠١٢ : عن علي بن الحكم ، عن محمد بن الفضيل ، عن شريس الوابشي ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شئ من التفسير فأجابني ، ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ، فقال : «**يا جابر إن للقرآن بطنا وللبطن بطناً وله ظهر وللظهر ظهر ، يا جابر ليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن**» .

* تفسير العياشي ١٧\١ : عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : «**ليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن**»

* تفسير العياشي ١٧\١ : عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**ليس أبعد من عقول الرجال من القرآن**» .

* وسائل الشيعة ١٩١\٢٧ : عن المعلى ابن خنيس قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) في رسالة : «**فأما ما سألت عن القرآن ، فذلك أيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة ، لأن القرآن ليس على ما ذكرت وكل ما سمعت فمعناه على غير ما ذهبت إليه ، وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم ، ولقوم يتلونه حق تلاوته ، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه ، وأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم ، وأبعده من مذاهب قلوبهم ، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنه ليس شئ أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن ، وفي ذلك تحير الخلائق**

أجمعون إلا من شاء الله ، وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه وأن يعبدوه ، وينتهوا في قوله إلى طاعة القوام بكتابه ، والناطقين عن أمره ، وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم ، لا عن أنفسهم ، ثم قال : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأما عن غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا ، ولا يوجد ، وقد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاة الأمر ، لأنهم لا يجدون من يأتمرون عليه ومن يبلغونه أمر الله ونهيه ، فجعل الله الولاة خواص ليقتدي بهم ، فافهم ذلك إن شاء الله وإياك وإياك وتلاوة القرآن برأيك ، فان الناس غير مشتركين في علمه ، كاشتراكهم فيما سواه من الأمور ، ولا قادرين على تأويله ، إلا من حده وبابه الذي جعله الله له فافهم إن شاء الله ، واطلب الأمر من مكانه تجده إن شاء الله» .

■ بارك الله بكم، والعنوان الثاني .

- العنوان الثاني (**أهل البيت دون غيرهم أعطوا تفسير القرآن**) :

* بصائر الدرجات ص٢١٤ : حدثنا هيثم النهدي عن العباس بن عامر قال حدثنا عمرو بن مصعب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول : «**إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه**» .

* الكافي ٢٢٩ : علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن القاسم بن الربيع عن عبيد بن عبد الله بن أبي هاشم الصيرفي ،

عن عمرو بن مصعب ، عن سلمة بن محرز قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : «**إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه**» .

* بصائر الدرجات ص٢١٥ : حدثنا محمد بن الحسين عن النضر بن شعيب عن خالد بن ماد القلانسي عن أبي داود عن انس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**يا علي أنت تعّلم الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون فقال ما أبلغ رسالتك بعدك يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال تخبر الناس بما أشكل عليهم من تأويل القرآن**» .

* الاحتجاج ٢٥٠\١ : عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال : «**ابن عمي ، وأخي ، وصاحبي ، ومبرئ ذمتي ، والمؤدي عني ديني ، و عداتي ، والمبلغ عني رسالاتي ، ومعلم الناس من بعدي ، ومبينهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون**» .

* الاحتجاج ٧٦\١ : عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال : «**هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعي إليه والعامل بما يرضاه .... معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتبعوا متشابهه ، فوالله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده**» .

* مستدرك الوسائل ٣٣٤\١٧ : عن مرازم قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) ، يقول : «**إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم**

كتابه من أوله إلى آخره» ، وعن أبي الصباح قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**إن الله علم نبيه (صلى الله عليه وآله) التنزيل والتأويل ، فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام)»** .

* الكافي ٦١\١ : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن النعمان ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه»** .

* علل الشرائع ٤٠\١ : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : «**وما في كتاب الله عز وجل آية : إلا وأنا اعرف تفسيرها»** .

* علل الشرائع ٩٠\١ : قول الصادق لأبي حنيفة : يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال نعم ، قال : «**يا أبا حنيفة لقد ادعيت علما ، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين انزل عليهم ، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا (صلى الله عليه وآله)»** .

* الاحتجاج ٢٢\٢ : فقال الحسين (عليه السلام) : «**نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون ، وأهل بيته الطيبون ، واحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الذي فيه تفصيل كل شئ ، لا يأتيه**

الباطل من بين يديه . ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، لا يبطينا تأويله ، بل نتبع حقايقه» .

■ أحسنت كثيراً أخي على هذه الروايات الشريفة، زدنا عنواناً آخر جزاكم الله خيراً .

– العنوان المهم الآخر، هو : **(حصر مرجعية التفسير بأهل البيت عليهم السلام) .**

* تفسير القمي ٣٩٧\٢ : «(إن علينا جمعه وقرآنه) قال : على آل محمد جمع القرآن وقرآنه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال اتبعوا إذا ما قرأوه (ثم إن علينا بيانه) **أي تفسيره» .**

* الوسائل ١٧٧\٢٧ : وعن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، وعن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن الحسن بن العباس بن الحريش ، عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : فان قالوا : من الراسخون في العلم ؟ فقل : من لا يختلف في علمه ، فان قالوا : من ذاك ؟ فقل : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاحب ذاك – إلى أن قال : وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستخلف أحداً فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده ، قال : وما يكفيهم القرآن ؟ قال : بلى ، لو وجدوا له مفسراً قال : وما فسره رسول الله

(صلى الله عليه وآله) ؟ قال : «**بلى قد فسره لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل ، وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)**» .

* في توحيد الصدوق ٢٦٤ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لرجل : «**فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء ، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله ، وتأويله لا يشبه كلام – البشر ، كما ليس شئ من خلقه يشبهه ، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئا من أفعال البشر ، ولا يشبه شئ من كلامه كلام البشر ، فكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر أفعالهم ، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل**» ، قال : فرجت عني فرج الله عنك ، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين .

* الكافي ٣١١\٨ : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن زيد الشحام قال : دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر (عليه السلام) فقال : ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : «**ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به**» .

* مستدرك الوسائل ٣٣٥\١٧ : أحمد بن محمد السياري في كتاب القراءات : عن محمد بن سليمان ، عن مروان بن الجهم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ، أنه قال في حديث : «**ما يعرف القرآن إلا من خوطب به**» .

* الكافي ٣٨٦\٨ : أحمد بن محمد ، عن سعد بن المنذر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبيه قال : خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) – ورواها غيره بغير هذا الإسناد وذكر أنه خطب بذي قار – فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : «**إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه ، فعلم بالعلم جهله وبصر به عماه وسمع به صممه وأدرك به علم ما فات وحيي به بعد إذ مات وأثبت عند الله عز ذكره الحسنات ومحى به السيئات وأدرك به رضوانا من الله تبارك وتعالى فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصة ...**» .

* تهذيب الأحكام ٢٢٥\٦ : سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن حماد عن عاصم قال : حدثني مولى لسلمان عن عبيدة السلماني قال : سمعت علياً (عليه السلام) يقول : **يا أيها الناس اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قال قولاً آل منه إلى غيره وقد قال قولاً من وضعه غير موضعه كذب عليه** ، فقام عبيدة وعلقمة والأسود وأناس منهم فقالوا : يا أمير المؤمنين فما نصنع بما قد خبرنا به في المصحف ؟ قال : «**يسئل عن ذلك علماء آل محمد (عليهم السلام)**» .

* الوسائل ١٧٦\٢٧ : محمد بن يعقوب ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل ابن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إن الله أجل وأكرم من أن

يعرف بخلقه – إلى أن قال : – وقلت للناس : أليس تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان الحجة من الله على خلقه ؟ قالوا : بلى ، قلت فحين مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان الحجة لله على خلقه ؟ قالوا : القرآن ، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته ، **فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم** .

* وسائل الشيعة ٢٠٠\٢٧ : علي بن الحسين المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلاً من تفسير النعماني بإسناده ، عن إسماعيل بن جابر ، عن الصادق (عليه السلام) قال : إن الله بعث محمداً ، فختم به الأنبياء ، فلا نبي بعده ، وأنزل عليه كتاباً ، فختم به الكتب ، فلا كتاب بعده ... إلى أن قال : «فجعله النبي (صلى الله عليه وآله) علماً باقياً في أوصيائه ، فتركهم الناس ، وهم الشهداء على أهل كل زمان ، حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر ، وطلب علومهم ، وذلك أنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ ، واحتجوا بالخاص وهم يقدّرون أنه العام ، واحتجوا بأول الآية ، وتركوا السنة في تأويلها ، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام ، وإلى ما يختمه ، ولم يعرفوا موارده ومصادره ، **إذ لم يأخذوه عن أهله ، فضلوا وأضلوا** ، ثم ذكر (عليه السلام) كلاماً طويلاً في تقسيم القرآن إلى أقسام وفنون ووجوه ، تزيد على مائة وعشرة ... إلى أن قال (عليه السلام) : وهذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق ،

كما لا تشبه أفعاله أفعالهم ، **ولهذه العلة وأشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى ، إلا نبيه وأوصياؤه (عليهم السلام)»** .

* تفسير القمي ١٩٢\١ : وحدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن محمد بن النعمان عن ضريس عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : «فيقول الله لمحمد فهل استخلفت في أمتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي **ويفسر لهم كتابي ويبين لهم ما يختلفون فيه من بعدك** حجة لي وخليفة في الأرض ؟ فيقول محمد نعم يا رب قد خلفت فيهم علي بن أبي طالب أخي ووزيري وخير أمتي» .

■ جزاكم الله خيراً، ما هو العنوان التالي لو سمحتم؟

– العنوان الآتي هو **(القرآن لا يشبه كلام البشر)** وفيه بعض الروايات الصريحة :

* في توحيد الصدوق ٢٦٤ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لرجل : «**فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء ، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله ، وتأويله لا يشبه كلام – البشر ، كما ليس شئ من خلقه يشبهه ، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر ، ولا يشبه شئ من كلامه كلام البشر ، فكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر أفعالهم ، فلا تشّبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل**» ، قال : فرجت عني فرج الله عنك ، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ... ثم قال أمير المؤمنين

(عليه السلام) : «**رب شئ من كتاب الله تأويله على غير تنزيله ولا يشبه كلام البشر**» .

* وسائل الشيعة ٢٠٠\٢٧ : علي بن الحسين المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلاً من تفسير النعماني بإسناده ، عن إسماعيل بن جابر ، عن الصادق (عليه السلام) قال : «**وهذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق ، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم ، ولهذه العلة وأشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى ، إلا نبيه وأوصياؤه عليهم السلام**» .

* نهج البلاغة : قول أمير المؤمنين لعبد الله بن عباس : «**لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ، ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً**» .

■ أحسنتم، كثيراً ، أين كانت هذه الروايات عنا، ولماذا لم يتنبه لها المفسرون الشيعة !

– الثقافة العامة في الحوزة الشيعية تنفر من حديث أهل البيت (عليهم السلام)، وقد أخذ التأثر بالعامة مأخذه منهم، حتى صار التفسير الروائي عندهم تفسيراً متخلفاً .

مخالفة مفسري الشيعة لتفسير أهل البيت (عليهم السلام)

■ هل عندك أمثلة على مخالفة المفسرين الشيعة للتفسير المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام) ؟

– الأمثلة كثيرة، وكتب التفسير الشيعية مشحونة بمخالفات صريحة للروايات التفسيرية .

■ أعطني مثالاً واحداً لو سمحت .

– سأذكر لك مثالاً يتضمن مخالفة صريحة، واضحة، وهو في نفس الوقت، يتضمن مظلمة لأهل البيت (عليهم السلام) صدرت من كل المفسرين الشيعة المعاصرين، وقبل أن أشرع بذكر المثال ، بودي أن أسألك – باعتبارك شاباً شيعياً مثقفاً – ما تقول في قوله تعالى في سورة النبأ ١ \ ١ – ٣ : (عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون) ، ماذا تعرف عن تفسيرها؟

■ الذي أعرفه أن الآية نزلت بحق أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولكن لا أعرف تفاصيل النزول أو الروايات التفسيرية الوارد في المقام .

– العجيب أن مفسري الشيعة المعاصرين تركوا الروايات الشريفة التي صرحت باختصاص الآية بأمير المؤمنين (عليه السلام)، وسطروا في تفاسيرهم آراء المخالفين ، ولم يذكروا تفسير أهل البيت (عليهم السلام) إلا في حواشي الحواشي !

■ عجيب والله أمر هؤلاء، اذكرهم لي أخي – لو سمحت – حتى أكون على بصيرة من أمري .

– اسمح لي أن اذكر في البداية تفاسير المخالفين للرواية، فقد انقسمت آراؤهم في تفسير النبأ العظيم إلى أقوال عدة : (انظر : تفسير السمعاني ١٣٥\٦) :

الأول : قال بعضهم : أريد به القرآن : قاله ابن عباس ، مجاهد .

الثاني : قال آخرون : عني به البعث : قاله قتادة (ت ١١٣هـ)، الربيع بن أنس (ت١٣٩ هـ) ، أبو العالية البراء (ت١٩٠هـ) ، كما رجحه أبو الليث السمرقندي (ت٣٨٣ هـ) ، والواحدي (ت٤٦٨ هـ) .

الثالث : النبوة : قاله الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) ، و الزجاج (ت٣١١ هـ) .

■ وماذا اختار المفسرون الشيعة من هذه الأقوال ؟

– يقول السيد الطباطبائي في تفسيره الكبير الميزان ١٥٩\٢٠ : «والمراد بالنبأ العظيم نبأ البعث والقيامة الذي يهتم به القرآن العظيم في سوره المكية ولا سيما في العتائق النازلة في أوائل البعثة كل الاهتمام . ويؤيد ذلك سياق آيات السورة بما فيه من الاقتصار على ذكر صفه يوم الفصل وما تقدم عليها من الحجة على أنه حق واقع» ، وهنا يعتمد السيد الطباطبائي بشكل فاعل على (منهجية السياق) فكل ما ساق إليه السياق لا بد أن يكون هو التفسير الحق .

■ وما إشكالك يا أخي على السياق، أليس ورود كلمة أو عبارة في سياق كلام معين يوحي للسامع بمعنى تلك الكلمة أو العبارة .

– نعم هذا في كلام البشر أم في كلام الله تعالى فالأمر مختلف تماماً ؟

■ كيف ؟

– مرت علينا الروايات التي تقول (إن كلام الله لا يشبه كلام البشر)، و(أن القرآن حمال ذو وجوه)، و (إن الآية ينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء)، و(أنه ليس شيء أبعد عن عقول الناس من تفسير القرآن) ، وأن التفسير مختص بأهل البيت (عليهم السلام)، وكل هذه شواهد على بطلان نظرية التفسير بالسياق .

■ وهل هناك مفسر آخر غير الطباطبائي تناول هذه الآية ؟

– سأذكر لك بعض النماذج الأخرى :

أولاً : يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي صاحب تفسير الأمثل في تفسيره ٣١٩\١٩ : (أورد المفسرون آراء متباينة في المقصود من " النبأ العظيم " ، فمنهم من اعتبره إشارة إلى يوم القيامة ، ومنهم من قال بأنه إشارة إلى القرآن الكريم ، ومنهم من اعتبره إشارة إلى أصول الدين من التوحيد حتى المعاد . وقد فسرته الروايات بالولاية والإمامة .... وبنظرة دقيقة إلى مجموع آيات السورة وسياق طرحها ، وما ذكرته الآيات اللاحقة من ملامح القدرة الإلهية بعرض بعض مصاديقها في السماء والأرض ، وبعد هذا العرض تؤكد إحدى الآيات ، إن يوم الفصل كان ميقاتاً ثم مخالفة وعدم تقبل المشركين لمبدأ " المعاد " ، كل ذلك يدعم التفسير الأول القائل : بأن النبأ العظيم هو يوم القيامة) .

ثانياً : وفي تفسيره (الكاشف) ٤٩٧\٧ يطرح الشيخ محمد جواد مغنية أن المقصود بالنبأ العظيم هي أصول الإسلام الثلاثة فيقول :
(أصول الإسلام ثلاثة : الإيمان بوحدانية الله ، و نبوة محمد ، و باليوم الآخر ، و قوم رسول الله كانوا أبعد الناس عن هذه المبادئ ... هذه المبادئ أو الأصول الثلاثة هي "النبأ العظيم" الذي كان المشركون يسأل بعضهم بعضاً عنه) .

■ وماذا تتحدث روايات أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية الشريفة ؟

– وردت روايات متظافرة فسرت النبأ العظيم بأنه نبأ أمير المؤمنين (عليه السلام) وولايته، وأنه هو الذي اختلفت فيه قريش ومن بعدها من الأمم ، ومن بين تلك المرويات الشريفة :

أولاً : روى الكليني عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت له : جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية "عم يتساءلون عن النبأ العظيم" قال : ذلك إلي إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم اخبرهم ، ثم قال : لكني أخبرك بتفسيرها ، قلت : " عم يتساءلون " ؟ قال : فقال : «**هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني**» "الكافي ٢٠٧\١\٣١١" .

■ سبحان الله، ما أوضح هذه الرواية !

– نعم أخي، وهي تشير أن النقاش كان حامياً في الأوساط الشيعية حول المعنى الاصطلاحي لـ (النبأ العظيم)، وقد قطع الإمام الباقر (عليه السلام) الطريق على تلكم الحوارات مفسراً ذلك النبأ بالولاية واستدل على تفسيره هذا برواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فهي روايتان في رواية واحدة .

■ أحسنت، أكمل أخي جزاك الله خيراً .

– نعم ،أخي العزيز، نستمر إن شاء الله :

ثانياً : في الكافي ٤١٨\١ : (عن عبد [الرحمن] بن كثير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى : "عم يتساءلون عن النبأ العظيم" قال : **النبأ العظيم** الولاية ، وسألته عن قوله " هنالك الولاية لله الحق" قال : **ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)** .

ثالثاً : في الكافي ٣٠\١٨ في خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال : **«إني النبأ العظيم والصديق الأكبر وعن قليل ستعلمون ما توعدون»** .

رابعاً : روى الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٩\١ : عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال : قال رسول الله " ص " لعلي (عليه السلام) : **«يا علي، أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم ...** » .

خامساً : روى الخصيبي (ت٣٣٤ هـ) في الهداية الكبرى ص ٩٢ : قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لعلي بن دراع الأسدي وقد دخل عليه

وهو محتب في جامع الكوفة فوقف بين يديه ، فقال : قد أرقت مدى ليلتك ، فقال له : ما أعلمك يا أمير المؤمنين بأرقي ؟ فقال : ذكرتني والله في أرقك ، فإن شئت ذكرتك وأخبرتك به ، فقال علي بن دراع : أنعم عليَّ يا أمير المؤمنين بذلك ، فقال له : «**ذكرت في ليلتك هذه قول الله (عز وجل) : (عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) فأرقك وفكرك فيه وتالله يا علي ما اختلف الملأ إلى بي وما لله نبأ هو أعظم مني ، ولي ثلاثمائة اسم ، لا يمكن التصريح بها لئلا يكبر على قوم لا يؤمنون بفضل الله (عز وجل) على رسوله وأمير المؤمنين والأئمة الراشدين**» .

سادساً : روى شرف الدين الحسيني (ت٩٦٥) في تأويل الآيات ٧٥٨\٢ عن محمد بن العباس ، بإسناده عن محمد بن الفضيل قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : ما لله نبأ هو أعظم مني ، ولقد عرض فضلي على الأمم الماضية باختلاف ألسنتها**».

سابعاً : وفي المصدر نفسه قال : عن أبان بن تغلب قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) ؟ قال: «**هو علي (عليه السلام) لان رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيه خلاف**» .

ثامناً : في مناقب ابن شهر آشوب ٢٧٧ : روى علقمة انه خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح ومصحف فوقه وهو يقول : عم يتساءلون ، فأردت البراز فقال (عليه السلام) : مكانك وخرج بنفسه وقال : أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ؟ قال : لا ، قال : **«والله أني أنا النبأ العظيم الذي في اختلفتم وعلى ولايتي تنازعتم وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم وببغيكم هلكتم بعد ما بسيفي نجوتم ويوم غدير قد علمتم ويوم القيامة تعلمون ما علمتم»** .

تاسعاً : وقال ابن شهر آشوب أيضاً : وفي رواية الأصبغ : **«والله إني أنا النبأ العظيم الذي هم مختلفون كلا سيعلمون حين أقف بين الجنة والنار فأقول : هذا لي وهذا لك»** .

عاشراً : روى المشهدي (ت٦١٠ هـ) في المزار ص ٤٢١ رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) : **«السلام عليك أيها الوصي البر التقي ، السلام عليك أيها النبأ العظيم ، السلام عليك أيها الصديق الشهيد ، السلام عليك أيها البر الزكي ، السلام عليك يا وصي رسول رب العالمين»** .

ما إن أكمل أخي (علي) سرد الروايات حتى شعرت بحجم مظلومية أمير المؤمنين (عليه السلام) وتذكرت الزيارة التي نخاطبه فيها (السلام عليك يا أول مظلوم) ، فإذا كان الأقربون المحسوبون على الشيعة يتجاهلون هذه النصوص الشريفة، ويهرعون خلف المنهجية

التفسيرية للمخالفين، فما أشد وطأة هذا الظلم ! فلم أزد في تعليقي أن قلت :

■ ساعد الله قلبك يا مولاي يا صاحب الزمان ! وأنت ترى تراث جدك نهباً، وكيف حالك يوم تخرج وكل الناس من حولك تتأول عليك القرآن !

– أحسنت أخي ، بارك الله بك .

علم الرجال (صنعة الرجال)

كانت الجلسة الثانية مخصصة للحديث عن (علم الرجال)، وهو العلم الذي يبحث في أحوال الرجال من حيث الوثاقة والضعف، ويقسم الأحاديث – بناءً على ذلك – إلى الأقسام الاربعة المعروفة (الصحيح، الحسن، الموثق، الضعيف) ، تواعدنا أنا وصديقي (علي) في بيت الأخير، وكانت لهفة التزود بالمعلومات تدفعني إلى بدء الجلسة ، فبادرت قائلاً :

■ ما إشكالاتك على (علم الرجال) ؟ الأصوليون يقولون هذا العلم مهم لمن أراد العمل بالأحاديث، وبدونه ستكون عملية الاستدلال بالاحاديث ناقصة الحجية وغير منضبطة .

– لقد صار هذا العلم المزعوم سيفاً مسلطاً على روايات أهل البيت (عليهم السلام)، يستعمله الفقيه متى شاء لتضعيف الروايات وردها، وقد يستعمله أيضاً لتصحيحها وتقويتها، بحسب الحاجة .

■ كيف ذلك، هل يمكنك التوضيح أكثر ؟

– أنا أسميه (صنعة الرجال)؛ لأنه لا يرقى لمستوى (العلم)، فهو عبارة عن قواعد هلامية، يمكن للفقيه أن يشكلها بحسب قناعاته وذوقه الشخصي، وليس ثمة قواعد تلزم الفقيه أو الرجالي بسلوك مسارات محددة، ومن هنا صارت (صنعة الرجال) من أكبر أدوات التوظيف وسوء الاستعمال في الأدبيات الأصولية .

■ يعني هل تدعي أنه لا توجد قواعد وضوابط لهذا العلم .

– إن كثيراً من القواعد والأسس الرجالية المزعومة كانت ولا تزال مثار جدل وخلاف حاد بين العديد من الفقهاء وعلماء الحديث والرجال أنفسهم ، فمثلاً :

اختلفوا في حجة قول الرجالي هل هو من باب الشهادة الحسية أم شهادة ذوي الخبرة ؟.

واختلفوا في كون الراوي كثير الرواية : فاعتبره البعض أمارة على الوثاقة وقال آخرون بل أمارة على المدح فقط أما الباقون فقاولوا : لا يدل على لا على المدح ولا التعديل .

واختلفوا في كون الراوي من مشايخ الإجازة : عدها البعض من أمارات الوثاقة و نفاها آخرون .

واختلفوا في كون الراوي وكيلاً لأحد الأئمة (عليهم السلام) فجعلها البعض من أقوى إمارات الوثاقة وتوقف آخرون في ذلك .

واختلفوا في كلمة (ثبت) هل تدل لوحدها على الوثاقة أم لا ؟؟

وترحم الشيخ الصدوق (ت٣٨١) على مشايخه هل يدل على توثيقهم ؟؟
خلاف في المسألة .

واختلفوا في معنى العدالة ، واختلفوا في حجية التوثيقات العامة .

وهكذا قلما تجد اتفاقاً بين الرجاليين على قاعدة من القواعد أو نص من النصوص ، وجنابكم يعلم أن الاختلاف في القاعدة يضعف من حجيتها، ولا يجعل منها ميزاناً صحيحاً في بناء الأحكام وتفريع المسائل .

■ ولكن كيف يمكننا الوثوق بروايات الضعفاء والوضاعين ؟

– لو سمحت أولاً أن توضح لي كيف يمكننا معرفة الرواة الضعفاء والكذابين والوضاعين من خلال علم الرجال؟

■ من تتبع أقوال نقاد الرجال مثل النجاشي والطوسي والكشي وغيرهم .

– وهل حجية قول الرجاليين من باب الشهادة الحسية، أم من باب مطلق حجية أقوال ذوي الخبرة ؟

■ لا اعلم ؟!

– انقسم الرجاليون – كما ذكرت سابقاً – في جواب هذا السؤال إلى قسمين : ذهب الأول إلى حجية قول الرجاليين من باب الشهادة الحسية (أي إخبار الثقة بشهادة مبنية على الحس والمعاصرة)، وقال الآخرون أن ذلك من باب مطلق حجية أقوال ذوي الخبرة .

■ وأيهما الفريقين أفضل؟

– كلاهما سقط في وحل (صنعة الرجال) .

■ سبحان الله ! كيف ذلك؟!

– إذا قلنا بحجية قول الرجاليين من باب الشهادة الحسية؛ فهذا يعني عدم حجية قول الرجاليين إلا في مَنْ عاصروه من الرواة، وهو أمر نادر الوقوع في كتب الرجال .

■ أعتقد معظم الفقهاء المعاصرين يذهبون إلى مطلق حجية أقوال ذوي الخبرة .

– وهنا تسقط أقوالهم من باب التعارض؛ فكثير من الرواة الذين وردت تضعيفاتهم في كتب الرجال، هم بالأساس من ثقات الرواة، ومن الذين اعتمد عليهم محدثونا الأقدمون .

■ هل يمكن توضيح ذلك بأمثلة ؟

– نعم أخي، فقد ضعّف النجاشي في كتابه مجموعة من الرواة ممن أكثر الثقات كالكليني والصدوق الرواية عنهم ، نذكر منهم :

١. سهل بن زياد الآدمي : وثقه الشيخ الطوسي مرة وضعفه مرتين ، أورد له الكليني أكثر من ١٢٠٠ رواية .

٢. إسماعيل بن سهل الدهقان : روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى (الكافي ٥٧٧\٢) كما روى عنه من كبار الأصحاب كسعد بن عبد الله الأشعري ، وعلي بن مهزيار ، والفضل بن شاذان ، ذكره الطوسي في الفهرست ولم يطعن فيه (ص٥٣) ، ذكره القمي في تفسيره .

٣. أمية بن علي القيسي الشامي : تفرد النجاشي بتضعيفه ، كان خصيصاً بأبي جعفر الجواد (عليه السلام) ، وله روايات شريفة في فضل آل محمد ومعاجزهم ، كما روى النص على الإمام الهادي (عليه السلام) .

٤. بكر بن صالح الضبي الرازي : تفرد النجاشي بتضعيفه ، وقد أكثر الكليني والصدوق وجماعة الأصحاب من الرواية عنه ، ذكره الطوسي في فهرسته ورجاله ولم يطعن فيه .

٥. سلمة بن الخطاب البراوستاني : تفرد النجاشي بتضعيفه، وإنما أخذ النجاشي تضعيفه من الغضائري .

٦. موسى بن سعدان الحناط : أكثر الكليني الرواية عنه ، وكذا بقية المشايخ ، ذكره الطوسي ولم يطعن عليه ، وروى عنه الثقات الأجلاء ، تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً للغضائري .

■ وماذا عندك أخي من الاعتراضات على ما أسميته (صنعة الرجال) ؟

– الاعتراضات كثيرة، منها أن النجاشي وابن الغضائري قد طعنوا في كبار الثقات والمحدثين من أصحاب ووكلاء الأئمة (عليهم السلام)، نذكر منهم :

١. **المعلى بن خنيس** : تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً لابن الغضائري ، أما الشيخ الطوسي فقد مدحه في كتاب الغيبة ووصفه بأنه من الوكلاء الممدوحين الذين مضوا على منهاج الأئمة (عليهم السلام) (غيبة

الطوسي ٣٤٧) ، وقد روى الكشي روايات عديدة تفيد جلالته وحسن عاقبته وأنه رجل من أهل الجنة (اختيار معرفة الرجال ٦٧٥\٢) .

٢. **جعفر بن محمد بن مالك الفزاري** : ضعفه النجاشي ونقل عن الغضائري وغيره اتهامه بالوضع وفساد المذهب ، إلا أن الشيخ الطوسي وثقه في رجاله وقال : (ويضعفه قوم ، روى في مولد القائم أعاجيب) ، وقد استفاد الكثير من المحققين وثاقته وحسن حاله من خلال قرائن كثيرة ليس هذا مورد ذكرها (مستدركات علم رجال الحديث ٢٠٣\٢) .

٣. **داود بن كثير الرقي** : وثقه الشيخ الطوسي والمفيد ، وأورد الصدوق عن الصادق عليه السلام أن داود بمنزلة المقداد بن الأسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال الشيخ النمازي : (ولذلك كله نجعله من الثقات الاجلاء وفاقاً لجماعة من الأعاظم منهم الشيخان الطوسي والمفيد وابن فضال والصدوق وابن طاووس والعلامة والكشي والطريحي وغيرهم . وذكره الصدوق في مشيخة الفقيه في صواحب الأصول المعتمدة) (مستدركات علم رجال الحديث ٣٦٦\٣) .

٤. **المفضل بن عمر الجعفي** : وهو الوكيل الفذ والمحدث الثقة، ضعفه النجاشي وابن الغضائري بفساد المذهب واضطراب الرواية ، وذكر الكشي روايات مادحة كثيرة وأخرى ذامة له ، أما الشيخ المفيد فقد وثقه صريحاً في الإرشاد ٢١٦\٢ ذاكراً إياه في جملة (شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين) ، وذكره الشيخ الطوسي في غيبته ص٣٤٦ في جملة الوكلاء الممدوحين .

٥. **جابر بن يزيد الجعفي** : وهو صاحب أسرار الأئمة (عليهم السلام)، تفرد النجاشي بتضعيفه ، رغم أن المفيد وابن الغضائري ذكرا أنه ثقة ، وروى الكشي روايات في مدحه ، وعده ابن شهرآشوب من خواص أصحاب الصادق عليه السلام .

٦. **صالح بن أبي حماد الرازي** : تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً لابن الغضائري ، ذكره الطوسي ولم يطعن فيه ، ونقل الكشي في رجاله ٣٨٧\١٢ أن الفضل بن شاذان كان يرتضيه ويمتدحه .

٧. **علي بن جعفر الهماني** : الوكيل الفذ ، كان من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) ، وصار من وكلائه المبرزين ، وكان موضع اعتماد الإمام ومحط اهتمامه ورعايته ، وثقه الشيخ الطوسي غير مرة في كتبه ، ووردت الروايات في مدحه وجلالته .

٨. **محمد بن أحمد بن خاقان (أبو جعفر القلانسي)** : تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً للغضائري ، نقل الكشي عن العياشي توثيقه ، وهو ثقة بالاتفاق .

■ وماذا بعد من اعتراضات على علم الرجال؟

– كثير من كتب الرجال عبثت بها يد الزمن؛ فرجال الكشي مليء بالتصحيف ، ورجال ابن الغضائري لم يثبت عند بعض المحققين، وكذا الأمر مع رجال النجاشي والطوسي .

■ وماذا بعد ؟

– لا توجد قاعدة رجالية اتفق عليها الرجاليون .

■ وماذا بعد؟

– هناك قاعدة متفق عليها (صحة السند لا تلازم صحة المتن، وضعف السنة لا يلازم ضعف المتن) ، فالبحث السندي مضيعة للوقت، وإنما الأساس هو النقد المتني .

■ وما هو النقد المتني ؟

– هو إخضاع المتن إلى عملية تمحيص دقيقة وفق قواعد علمية مأثورة للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح أو النص المشكوك فيه، ونستطيع أن نلخص (قواعد التمحيص) المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) بما يلي :

أولاً : عرض الحديث على كتاب الله العزيز (القرآن الكريم) وسنة أهل البيت (عليهم السلام) ، : فما وافقهما يؤخذ به ويعمل ، وما خالفهما لا يُعمل به ، وفي هذا وردت روايات كثيرة منها :

* عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : «**إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوا به ، وما خالف كتاب الله فدعوه**»[1] .

* عن الحسن بن الجهم ، عن العبد الصالح (عليه السلام) قال : «**إذا جاءك الحديثان المختلفان ، فقسهما على كتاب الله وأحاديثنا ، فان أشبهها فهو حق ، وإن لم يشبهها فهو باطل**»[1] .

---

١ المحاسن ١\٢٢٦ .

* عن يونس بن عبد الرحمن أن بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر فقال له : يا أبا محمد ما أشدك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا فما الذي يحملك على رد الأحاديث ؟ فقال : حدثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : «**لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة**»[٢] .

ثانياً : إذا اختلف الحديثان في الحكم يرجَّحُ ما كان مخالفاً للعامة ، ويترك ما كان موافقاً لهم ، فقد ورد عن الصادق عليه السلام : «**فإن لم تجدوهما في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة ، فما وافق أخبارهم فذروه ، وما خالف أخبراهم فخذوه**» ، و في رواية أخرى : «**إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم**»[٣] .

ثالثاً : إذا اختلف حديثان ، وكان كلاهما مخالفين أو موافقين للعامة ، يؤخذ بالمُجمع عليه من الأخبار ويترك الشاذ النادر ، ففي مقبولة ابن حنظلة : «**ينظر إلى ما كان من روايتهما عنا في ذلك الذي حكما به**

---

١ وسائل الشيعة ١٢٣\٢٧ ، ويقصد بد الصالح الإمام الكاظم عليه السلام .

٢ بحار الأنوار ٢٤٩\٢ .

٣ أنظر : الوسائل ١٨٨\٢٧ .

المجمع عليه عند أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه»[1] .

رابعاً : الأخذ بأحوط الحديثين هو من جملة الترجيحات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، ففي مرفوعة زرارة بن أعين قال : سألت الباقر (عليه السلام) فقلت : جعلت فداك يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ ؟ فقال : «**يا زرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ، ودع الشاذ النادر** ، فقلت : يا سيدي انهما معا مشهوران مرويان مأثوران عنكم ؟ فقال (عليه السلام) : **خذ بقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك** ، فقلت : أنهما معا عدلان مرضيان موثقان ؟ فقال : **انظر إلى ما وافق منهما مذهب العامة فاتركه وخذ بما خالفهم ، فان الحق فيما خالفهم** ، فقلت : **ربما كانا معا موافقين لهم أو مخالفين فكيف أصنع** ؟ فقال : **اذن فخذ بما فيه الحائطة لدينك واترك ما خالف الاحتياط** ، فقلت : أنهما معا موافقين للاحتياط أو مخالفين له فكيف أصنع ؟ فقال (عليه السلام) : **اذن فتخير أحدهما فتأخذ به وتدع الاخر»**[2] .

---

١ الكافي ١١/٦٨ .

٢ عوالي اللئالي ٤/١٣٣

خامساً : رد محكم الأخبار إلى متشابهها ، عن الرضا (عليه السلام) قال : «**من رد متشابه القرآن إلى محكمه فقد هدي إلى صراط مستقيم** ، ثم قال (عليه السلام) : «**إن في أخبارنا محكما كمحكم القرآن ، ومتشابها كمتشابه القرآن ، فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا**»[1] .

وثمة مسالة مهمة أكدها القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) ، وهي عدم (تأويل الحديث) دون الرجوع لمحكم القرآن أو محكم كلامهم (سلام الله عليهم) ، قال تعالى : {فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }آل عمران٧ ، وعن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه لعيص بن المختار : «**يا عيص ، إن الناس أغروا بالكذب علينا حتى كأن الله عز وجل افترضه عليهم ، لا يريد منهم غيره ، وإني لأحدث أحدهم الحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله ، وذلك أنهم لا يطلبون دينا وأنتم تطلبون الدين ، وإنما يحب كل واحد منهم أن يكون رأساً ، أي عيص ، ليس من عبد رفع رأسه إلا وضعه الله ، وما من عبد وضع نفسه إلا رفعه الله وشرفه**»[2] .

■ أحسنت كثيراً، ماذا سيكون موضوع حديثنا القادم ؟

---

١ أنظر : الوسائل ٢٧\١١٥ .

٢ دعائم الإسلام ١\٥٠ .

– سيكون عن حكم القيام في زمن الغيبة الكبرى، وهو موضوع في غاية الخطورة والحساسية، وقد وقع فيه الكثير من الناس فريسة الأوهام والشبهات وعدم الوعي العقائدي الصحيح .

القيام بالسيف في زمان الغيبة الكبرى

كانت توقعاتي لجلسة اليوم أنها ستكون حبلى بالمفاجئات، فالموضوع – كما قدّم أخي علي – يكتنفه شيء كبير من الحساسية والخطورة، وقد بُنيت مواقف الشيعة فيها على أساس العاطفة والهوى والولاء الشخصي والاستحسانات العقلية، بعيداً عن روح العودة إلى النصوص الروائية الشريفة، وتكمن خطورة الموضوع بما ترتب عليه من سفك للدماء وهتك للأعراض، وتسليط المنافقين على رقاب الشيعة، فضلاً عن ما يترتب عليه عقائدياً من أحكام في الدنيا والآخرة تجعل إيمان المؤمن على محك الاختبار .

كان اليوم المخصص لهذه الجلسة يوماً مشمساً من أيام شهر آذار، حيث تتأرجح أجواء الربيع بين برودة الشتاء وحرارة الصيف، قررت – كعادتي في كل يوم– أن أذهب مبكراً للكلية، حيث ينتظرني زميلي وأخي المحدث الجليل (عليّ)، وكنا نستغل النشاط الصباحي لمذاكرة بعض مواضيع الدراسة، التي أوشك سنتها الأولى على الانتهاء، وهذه السنة هي الأصعب؛ لأنها سنة التحضير، تعقبها سنة البحث، ويقع الجهد الدراسي الأكبر في السنة الأولى .

عندما وصلت إلى الكلية، كان صديقي (عليّ) يجلس على أريكة تتوسط حديقة الزهور في الكلية، وهو يقلب كتاباً طُبع بحُلة قشيبة، مكتوب على غلافه (كتاب الغيبة، تأليف محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي زينب النعماني المتوفى سنة ٣٦٨ هـ)، جلست في قبالته، بعد السلام والتحية، وقلت :

■ دعنا يا أخي نقرأ شيئاً من دروسنا، ولما نفرغ من "الدوام" نبدأ الجلسة على بركة الله تعالى .

- أبلغتني إدارة القسم أن الأستاذ لن يأتي للكلية في هذا اليوم، إنها فرصة لنبدأ جلستنا حول موضوع (القيام بالسيف في زمان الغيبة الكبرى) .

■ جيد إذن اسمح لي أدعوك للغداء في بيتي ثم نناقش هذه القضية الحساسة .

- على بركة الله تعالى .

ذهبنا سوية إلى بيتي، وبعد الصلاة والغداء، قرر أخي (عليٌّ) أن يفتتح الجلسة بقوله :

- وردت روايات كثيرة في وجوب متابعة أهل البيت (عليهم السلام)، في مسألة القيام والقعود، وعدم التأخر عنهم أو التقدم عليهم، وقد هلك في هذه المسألة خلق كثير من الناس، في زمان حضور الأئمة (عليهم السلام) فضلاً عن زمان غيبتهم الشريفة .

■ ماذا تقصد بمسألة القيام والقعود؟

– القيام، هو الخروج بالسيف ضد الطغاة والظالمين، والجهاد لإسقاط دولة الباطل والطاغوت، وإقامة دولة الحق المبنية على القسط والعدل، كما قال الله تعالى (ليقوم الناس بالقسط) .

■ وماذا قالت الروايات ؟

– يمكننا تقسيم الروايات في هذا الموضوع إلى أقسام عدة، أولها مجموعة الروايات التي حثت على وجوب متابعة أهل البيت (عليهم السلام) في كل شيء، ولاسيما في مسألة القيام والقعود، ومن هذه الروايات :

* في الكافي ٢٩٤\١ : عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : «**إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله عز وجل وأهل بيتي عترتي ، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت ، إنكم ستردون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين والثقلان : كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي ، فلا تسبقوهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم**» .

* نهج البلاغة ١٨٩\١ – شرح محمد عبده : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : «**انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى . فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا . ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا**» .

* في قرب الإسناد للحميري ٣٥٠ : قال أبو جعفر (عليه السلام) : «**إنما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا ، ومن إذا خفنا خاف ، وإذا أمنا أمن ، فأولئك شيعتنا**» .

* في الوسائل ٧٣\٢٧ : عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : «**فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا ، وتصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله ، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا**» .

* الوسائل ٦٨\٢٧ : عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**أمر الناس بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا ثم قال : وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا ، كانوا بذلك مشركين**» .

■ وما المجموعة الثانية من الروايات؟

– المجموعة الثانية تتحدث عن (**تحريم الرئاسة**)، ومن هذه الروايات :

١ – محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن معمر بن خلاد ، عن أبي الحسن (عليه السلام) أنه ذكر رجلاً فقال : إنه يحب الرئاسة ، فقال : «**ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرئاسة**» .

٢ – عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**من طلب الرئاسة هلك**» .

٣ – عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : «**إياك والرئاسة**» ... الحديث .

٤ – عن عبد الله بن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فوالله ما خفقت النعال خلف الرجل إلا هلك وأهلك**» .

٥ – عن جويرية بن مسهر قال : اشتددت خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال : «**يا جويرية انه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلا بخفق النعال خلفهم**» .

٦ – و قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**ملعون من ترأس ، ملعون من همَّ بها ، ملعون من حدَّث نفسه بها**» .

٧ – عن أبي مياح ، عن أبيه قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) : يقول : «**من أراد الرئاسة هلك**» .

٨ – عن أبي الربيع الشامي ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال لي : «**يا أبا الربيع لا تطلبنَّ الرياسة ولا تكن ذنباً ، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله**» . . . الحديث .

٩ – وعن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «**أترى لا أعرف خياركم من شراركم ! بلى والله إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه إنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأي**» .

١٠ – و عن عقبة بن بشير ، عن أبي جعفر (عليه السلام) – في حديث – قال : «**وأما قولك إن قومي كان لهم عريف فهلك فأرادوا أن**

يعرفوني عليهم فان كنت تكره الجنة ويتبعها فتعرف عليهم ، يأخذ سلطان جائر بامرئ مسلم فيسفك دمه فتشرك في دمه ولعلك لا تنال من دنياهم شيئاً» .

١١- عن القاسم بن عوف ، عن علي بن الحسين (عليه السلام) - في حديث - أنه قال له : «**إياك أن تترأس فيضعك الله وإياك أن تستأكل [بنا] فيزيدك الله فقراً ، واعلم أنك إن تكن ذنباً في الخير خير لك من أن تكون رأساً في الشر**» .

١٢ - عن علي بن عقبة ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) - في حديث - قال : «**مالكم وللرئاسات ؟ إنما المسلمون رأس واحد ، إياكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة**» .

الوظيفة في زمان الغيبة الكبرى

■ جيد، وهل عندنا نصوص صريحة تحدد وظيفتنا في زمان الغيبة، هل نلتزم منهج التقية والقعود، أم منهج القيام وتأسيس الدولة كما نراه في غير واحدة من المجموعات الشيعية .

- أنت تعرف أكثر من غيرك عدد الروايات التي وردت في باب (التقية)، وأنها من دين الإمام الصادق (عليه السلام) ودين آبائه .

■ أعرف روايات التقية، لكنني أريد روايات خاصة تنهى عن القيام في زمان الغيبة الكبرى .

- حباً وكرامة، الروايات كثيرة جداً نذكر منها ما يأتي :

١ – عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : " إنه قال لي أبي (عليه السلام) : «**لا بد لنارٍ من أذربيجان لا يقوم لها شئ ، وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم ، و ألبدوا ما ألبدنا ، فإذا تحرك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبوا ، والله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد ، على العرب شديد ، وقال : ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب**» .

٢ – عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : " قال : قلت له (عليه السلام) : أوصني ؟

فقال : «**أوصيك بتقوى الله ، وأن تلزم بيتك وتقعد في دهماء هؤلاء الناس ، وإياك والخوارج منا فإنهم ليسوا على شئ ولا إلى شئ ، واعلم أن لبني أمية ملكاً لا يستطيع الناس أن تردعه ، وأن لأهل الحق دولة إذا جاءت ولاها الله لمن يشاء منا أهل البيت ، فمن أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى ، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له ، واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً أو تعز ديناً إلا صرعتهم المنية والبلية** .. » .

٥ – عن أبي المرهف ، قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : هلكت المحاضير . قال : قلت : وما المحاضير ؟ قال : «**المستعجلون ، ونجا المقربون ، وثبت الحصن على أوتادها ، كونوا أحلاس بيوتكم ، فإن الغبرة على من أثارها ، وأنهم لا يريدونكم بجائحة إلا أتاهم الله بشاغل إلا من تعرض لهم**» .

٦ – عن أبي بكر الحضرمي ، قال : دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله (عليه السلام) وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان ، فقلنا : ما ترى ؟ فقال : «**اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح**» .

٧ – عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : «**كفوا ألسنتكم ، و الزموا بيوتكم ، فإنه لا يصيبكم أمر تخصون به أبداً ، ويصيب العامة ولا تزال الزيدية وقاء لكم أبداً**» .

8 – عن بريد بن معاوية العجلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في قوله عز وجل : (اصبروا و صابروا ورابطوا) ، فقال : «**اصبروا على أداء الفرائض ، و صابروا عدوكم ، ورابطوا إمامكم المنتظر**» .

9 – عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال ذات يوم : «**ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العباد عملاً إلا به ؟ فقلت : بلى . فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ، والإقرار بما أمر الله ، والولاية لنا ، والبراءة من أعدائنا – يعني الأئمة خاصة – ، والتسليم لهم ، والورع والاجتهاد والطمأنينة ، والانتظار للقائم (عليه السلام)** ، ثم قال : **إن لنا دولة يجئ الله بها إذا شاء** ، ثم قال : **من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من**

الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدوا وانتظروا ، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة» .

10 – عن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال : «**اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض ، – أي لا تخرجوا على أحد – فإن أمركم ليس به خفاء ، إلا إنها آية من الله عز وجل ليست من الناس ، ألا إنها أضوء من الشمس لا تخفى على بر ولا فاجر ، أتعرفون الصبح ؟ فإنها كالصبح ليس به خفاء» .**

11 – وسائل الشيعة ٥١\١١٥ : ، عن سدير قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «**يا سدير ألزم بيتك ، وكن حلساً من أحلاسه ، واسكن ما سكن الليل والنهار ، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك» .**

12 – وسائل الشيعة ٥٢\١١٥ : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «**كل راية ترفع قبل قيام القائم (عليه السلام) فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل» .**

13 – وسائل الشيعة ٥٥\١١٥ : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في خطبة له : «**الزموا الأرض ، واصبروا على البلاء ، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم ، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم ، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ، ووقع أجره على الله ، واستوجب ثواب**

ما نوى من صالح عمله ، وقامت النية مقام اصلاته بسيفه ، فان لكل شئ مدة و أجلاً» .

١٤ – معجم أحاديث الإمام المهدي ٢٣٠\١٣ : «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم ، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان ، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جل جلاله فيقول : عبادي وإمائي آمنتم بسري وصدقتم بغيبي ، فأبشروا بحسن الثواب مني ، فأنتم عبادي وإمائي حقا . منكم أتقبل ، وعنكم أعفو ، ولكم أغفر ، وبكم أسقي عبادي الغيث ، وأدفع عنهم البلاء ، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي ، قال جابر فقلت : يا بن رسول الله فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال : **حفظ اللسان ، ولزوم البيت»** .

١٥ . المصدر نفسه ٢٤٤\١٣ : «**يا جابر إن لبني العباس راية ، ولغيرهم رايات ، فإياك ثم إياك – ثلاثاً – حتى ترى رجلاً من ولد الحسين عليه السلام يبايع له بين الركن والمقام ، معه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومغفر رسول الله ، ودرع رسول الله ، وسيف رسول الله»** .

١٦ – المحاسن ٢٥٦\١ : عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبي عن حسين بن أبي العلاء ، عن حبيب بن بشير قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : سمعت أبي يقول : **«لا والله ما على الأرض شئ أحب إلي من التقية ، يا حبيب إنه من**

كانت له تقية رفعه الله ، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله ، يا حبيب إنما الناس هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا» .

١٧- أمالي الطوسي ص١٦٣ : أحمد بن إدريس ، عن علي بن محمد ، عن الفضل بن شاذان ، عن محمد بن أبي عمير ، عن الحسين بن أبي العلاء ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما دخل سلمان (رضي الله عنه) الكوفة ، ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها ، حتى ذكر ملك بني أمية والذين من بعدهم . ثم قال : «**فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر ابن الطاهر المطهر ذو الغيبة الشريد الطريد**» .

١٨- الكافي ٢٧٤\٨ : عن الفضل الكاتب قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فأتاه كتاب أبي مسلم فقال ليس لكتابك جواب اخرج عنا فجعلنا يسار بعضنا بعضاً ، فقال : أي شئ تسارون يا فضل إن الله عز وجل ذكره لا يعجل لعجلة العباد ، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقص أجله ثم : قال : إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان ، قلت : فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك ؟ قال : «**لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثاً - وهو من المحتوم**» .

١٩- غيبة الطوسي ٤٤١ ، غيبة النعماني ٢٨٩ : عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال : " قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) : «**يا جابر ، الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات**

أذكرها لك إن أدركتها : أولها اختلاف بني العباس ، وما أراك تدرك ذلك ، ولكن حدث به من بعدي عني ، ومناد ينادي من السماء» .

٢٠- الكافي ١١\٣٣٥ : عن أبي إسحاق قال : حدثني الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنهم سمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له : «**اللهم وإني لأعلم أن العلم لا يأزر كله ، ولا ينقطع مواده وإنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك ، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور ، كيلا تبطل حججك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم ، بل أين هم وكم ؟ أولئك الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله جل ذكره قدراً ، المتبعون لقادة الدين : الأئمة الهادين ، الذين يتأدبون بآدابهم ، وينهجون نهجهم ، فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان ، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم ، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم ، ويأنسون بما استوحش منه المكذبون ، وأباه المسرفون أولئك أتباع العلماء صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه ودانوا بالتقية عن دينهم والخوف من عدوهم ، فأرواحهم معلقة بالمحل الأعلى ، فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل ، منتظرون لدولة الحق وسيحق الله الحق بكلماته ويمحق الباطل** ... الخ» .

٢١- علل الشرائع للصدوق ٤٦٧ : عن الصادق عليه السلام : «**المؤمن مجاهد ، لأنه يجاهد أعداء الله تعالى في دولة الباطل بالتقية وفي دولة الحق بالسيف**» .

٢٢- تحف العقول في وصية الإمام الصادق لمحمد بن النعمان الأحول : «**يا ابن النعمان إذا كانت دولة الظلم فامش واستقبل من تتقيه بالتحية ، فإن المتعرض للدولة قاتل نفسه وموبقها ، إن الله يقول** : " **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**» .

٢٣- غيبة الطوسي ٤٦٣ : عن أبي عبد الله بن رزين ، عن عمار بن ياسر أنه قال : «**إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ، ولها إمارات ، فإذا رأيتم فالزموا الأرض وكفوا حتى تجئ إماراتها**» .

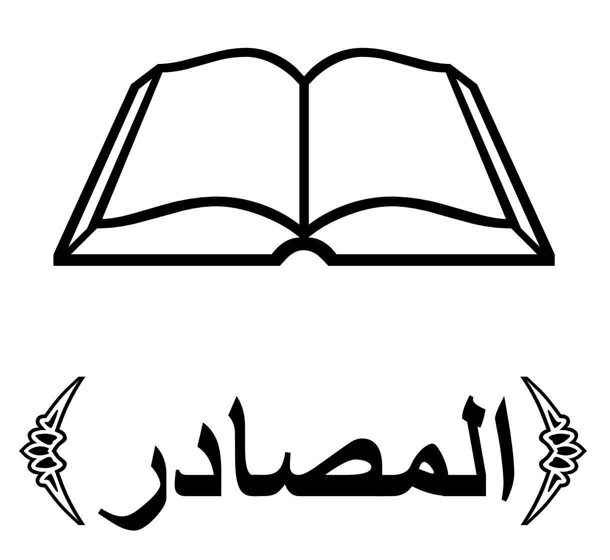
٢٤- الكافي ٢٧٣\٨ : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن علي ، عن حفص بن عاصم ، عن سيف التمار ، عن أبي المرهف ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : **الغبرة على من أثارها ، هلك المحاضير**، قلت : جعلت فداك وما المحاضير، **قال : المستعجلون أما إنهم لن يريدوا إلا من يعرض لهم** ، ثم قال : **يا أبا المرهب أما إنهم لم يريدوكم بمجحفة إلا عرض الله عز وجل لهم بشاغل** ، ثم نكت أبو جعفر (عليه السلام) في الأرض ثم قال : **يا أبا المرهف ! قلت : لبيك قال : أترى قوماً حبسوا أنفسهم على الله عز ذكره لا يجعل الله لهم فرجا ؟ بلى والله ليجعلن الله لهم فرجاً**» .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة تبين لي أن عصر الغيبة الذي نعيشه هو عصر الفتن والحيرة الذي تحدثت عنه النصوص الشريفة، وقد انحرفت المدرسة الأصولية انحرافاً كبيراً باتباعها منهجاً مقتبساً من بدع المخالفين وانحرافاتهم في العقائد والأحكام والتفسير، وأنه ليس ينفع المؤمن، أو ينجيه من هذه الظلمات والمهالك إلا التفقه بالقرآن وروايات أهل البيت (عليهم السلام) والعمل بهما، وترك البدع التي تستشري في المؤسسة الدينية الرسمية، وعدم الخروج مع الرايات الضالة في زمان الغيبة التامة، وأفضل الأعمال مع التفقه والعمل هو انتظار أمر إمامنا الحجة بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه الشريف)، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

تم الكتاب

الحمد لله رب العالمين .



﴿المصادر﴾

* **القرآن الكريم** .
* **أصـول الاسـتنباط،** محمد تقي الحيدري . دار الكتب الإسلامية، الطبعة السادسة، طهران .
* **الاجتهـاد والتقليـد** ، محمد مهدي شمس الدين . المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨ م .
* **الاجتهـاد والتقليـد** ، روح الله الموسوي الخميني، تحقيق ونشر : مؤسسة تنظيم ونشر الخميني ، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .
* **الاجتهاد والتقليد من التنقيح في شرح العروة الوثقى تقرير البحث السيد أبي القاسم الخوئي** ، علي الغروي التبريزي، الناشر : دار الهادي للمطبوعات ، الطبعة الثالثة، قم، ١٤١٠ هـ .
* **الاحتجاج على أهل اللجاج** ، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، (ت ٥٤٨ هـ) . تحقيق : محمد باقر الخرسان . مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٦٦م .
* **الاختصاص** ، المنسوب إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد ، (ت ٤١٣ هـ) . تحقيق : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، قم ، ١٤١٤ هـ .
* **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد** ، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العُكبري البغدادي ، (٣٣٦ – ٤١٣ هـ) . تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، لتحقيق التراث ، دار المفيد للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .

* **الأمالي** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي ، (ت ٣٨١ هـ) . تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤١٧ هـ .

* **الأمالي** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) . تحقيق : قسم الدراسات الاسلامية ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤١٤ هـ .

* **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** ، ناصر مكارم الشيرازي . مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .

* **الف الحديث في المؤمن**، هادي النجفي . مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦ هـ .

* **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار** ، محمد باقر المجلسي ، (ت١١١١ هـ) . مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

* **البحث في رسالات عشر**، محمد حسن القديري، مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .

* **بصائر الدرجات الكبرى** ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار ، (ت٢٩٠ هـ) . الناشر : مؤسسة الأعلمي ، المطبعة : مطبعة الأحمدي ، طهران ، ١٤٠٤ هـ .

* **تاريخ الغيبة الصغرى**، محمد الصدر (١٤١٩ هـ) ، انتشارات القدس، الطبعة الثانية، قم، ١٤٢٧ هـ .
* **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة** ، شرف الدين علي الغروي الحسيني الأسترآبادي النجفي ، (ت ح ٩٣٣ هـ) . تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، قم المقدسة ، ١٤٠٧ هـ .
* . **تحرير الأحكام الشرعيّة** ، الحسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلاّمة الحلّي (٦٤٨ – ٧٢٦ هـ) . المحقّق : إبراهيم البهادري، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأُولى، قم، ١٤٢٠ هـ .
* **تحف العقول عن آل الرسول** ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع) . عني بتصحيحه والتعليق عليه : علي أكبر الغفاري . مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الثانية ، قم ، ١٤٠٤ هـ .
* **تفسير السمعاني**، منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) . مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .
* **تفسير العياشي** ، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي ، (ت٣٢٠ هـ) . وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه : السيد هاشم الرسولي المحلاتي . المكتبة العلمية الإسلامية .

* **تفسير القمي** ، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (توفي بعد ٣٠٤ هـ) . صححه وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري . مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٠٤ هـ .
* **تفسير شُبّر**، عبد الله شبر ، مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .
* **التفسير الكاشف**، محمّد جواد مغنيّة . دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت، ١٩٨١ م .
* **تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة** ، محمد الفاضل اللنكراني (ت ١٤٢٨ هـ) . تحقيق ونشر مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام، الطبعة الأولى، قم ، ١٤٢٣ هـ .
* **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (ت ٤٦٠ هـ) . حققه وعلق عليه : حسن الموسوي الخرسان ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٠ هـ .
* **تهذيب الأصول (تقرير بحث السيد الخميني للسبحاني)** ، جعفر السبحاني . انتشارات دار الفكر ، الطبعة الثالثة، قم .
* **التوحيد** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي ، (ت٣٨١ هـ) . صححه وعلق عليه : هاشم الحسيني الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، ١٣٩٨ هـ .

* **حاشية كتاب المكاسب** ، محمد حسين الإصفهاني (ت ١٣٦١ هـ) . تحقيق : عباس محمد آل سباع، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .
* **الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين**، محمد بن مرتضى المعروف بـ"الفيض الكاشاني" . عني بطبعه وتصحيحه ونشره مير جلال الدين الحسيني الأرموي " المحدث " ، ١٣٩٠ هـ
* **حياة الإمام العسكري (عليه السلام)**، باقر شريف القرشي . دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
* **الخرائج والجرائح** ، قطب الدين الراوندي ، (ت ٥٧٣هـ) . تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، الطبعة الأولى ، قم المقدسة ، ١٤٠٩ هـ .
* **الخصال** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ) . صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري . منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة .
* **دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام** : القاضي النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي . تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي . دار المعارف – القاهرة ، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م .

* **رجال الطوسي** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (ت ٤٦٠ هـ) . المحقق : جواد القيومي الأصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٤١٥ هـ .

* **رجال الكشي**، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (القرن الرابع) . تحقيق : السيد أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩ م .

* **الرجال لابن الغضائري** ، أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي ، (من أعلام القرن الرابع الهجري) . تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي . مؤسسة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٢ هـ .

* **رجال النجاشي** ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي ، (٣٧٢ – ٤٥٠هـ) . التحقيق : موسى الشبيري الزنجاني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، جماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٤٢٩ هـ .

* **الرسائل** ، روح الله الخميني الموسوي . مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٥ هـ .

* **الرسائل التسع**، المحقق الحلي أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٠٢ – ٦٧٦ هـ) . تحقيق رضا الاستادي، الناشر : مكتبة المرعشي، الطبعة الأولى، قم ، ١٤١٣ هـ .

* **العروة الوثقى** ، محمد كاظم اليزدي ، مؤسسة السبطين

* **علل الشرائع** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي ، (ت٣٨١ هـ) . منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م .
* **عناية الوصول في شرح كفاية الأصول**، مرتضى الحسيني الفيروزآبادي . مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .
* **غوالي (عوالي) اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية** ، محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بـ: ابن أبي جمهور ، (ت ٩٤٠ هـ) . تحقيق : مجتبى العراقي . مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام) ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤٠٣ هـ .
* **عيون أخبار الرضا** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت٣٨١ هـ) . صححه وقدم له وعلق عليه : حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
* **الغيبة** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) . تحقيق : عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، الطبعة الأولى ، قم المقدسة ، ١٤١١ هـ .
* **الفصول الغروية في الأصول الفقهية**، محمد حسين بن عبد الرحيم الطهراني الحائري (ت ١٢٥٠ هـ) . الناشر : دار إحياء العلوم الاسلامية، قم، ١٤٠٤ هـ .

* **فقه الصادق** ، محمد صادق الحسيني الروحاني . مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الثالثة ، قم، ١٤١٢ هـ .
* **الفهرست** ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، (ت ٤٦٠ هـ) . المحقق : جواد القيومي . طبع ونشر مؤسسة نشر الفقاهة ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤١٧ هـ .
* **قاموس الرجال** ، محمد تقي التستري ، (ت ١٤١٥ هـ) . تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٤١٩ هـ .
* **قرب الإسناد** ، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري ، (من أعلام القرن الثالث الهجري) . تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤١٣ هـ .
* **الكافي** ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، (ت ٣٢٩ هـ) . صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري . الناشر : دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، طهران ، ١٣٨٨ هـ .
* **كامل الزيارات** ، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي ، (ت ٣٦٨ هـ) . التحقيق : الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، قم ، ١٤١٧ هـ .
* **كتاب البيع**، روح الله الموسوي الخميني . تحقيق ونشر : مؤسسة تنظيم ونشر الخميني ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .

* **كفايـة الأصـول**، محمد كـاظم الخراسـاني . تحقيق مؤسسـة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٩ هـ .
* **كمال الدين وتمام النعمة** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد علـي بن الحسين بـن بابويـه القمـي ، (ت٣٨١ هـ) . صـححه وعلـق عليـه : علـى أكبـر الغفـاري ، مؤسسـة النشـر الإسـلامي ، جماعـة المدرسـين ، قـم المقدسة ، ١٤٠٥ هـ .
* **المحاسـن** ، أبـو جعفر أحمد بـن محمد بـن خالد البرقـي ، (ت ٢٩٠ هـ) ، عنـي بنشـره وتصـحيحه والتعليـق عليـه : جـلال الـدين الحسـيني المشتهر بالمحدث ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٧٠ هـ .
* **المـــزار** ، محمـد بـن المشـهدي ، (ت ٦١٠ هـ) . التحقيـق : جـواد القيـومي الأصـفهاني ، المطبعـة : مؤسسـة النشـر الاسـلامي ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٩ هـ .
* **مسـتدركات علـم رجـال الحـديث** ، علـي النمـازي الشـاهرودي ، (ت١٤٠٥ هـ) . مطبعة شفق ، الطبعة الأولى ، طهران ، ١٤١٢ هـ .
* **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل** ، حسين الطبرسي النوري ، (ت ١٣٢٠ هـ) . تحقيق ونشر : مؤسسـة آل البيت لإحيـاء التراث ، الطبعـة الأولى ، قم ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .
* **معالم التجديد الفقهي (تقرير بحث السيد كمال الحيدري)**، خليل رزق . منشورات دار الهادي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

* **معاني الأخبار** ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي ، (ت٣٨١ هـ) . عني بتصحيحه : علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، جماعة المدرسين ، قم المقدسة ، ١٣٧٩ هـ .

* **معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام**، الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الاسلامية تحت إشراف الشيخ علي الكوراني . نشر : مؤسسة المعارف الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

* **مناقب آل أبي طالب** ، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني ، (ت ٥٨٨ هـ) . قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م .

* **الميزان في تفسير القران**، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) . منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، في قم المقدسة، مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .

* **ناسخ القرآن**، سعد بن عبد الله الأشعري (ت ٣٠١ هـ)، منشورات مكتبة العلامة المجلسي، الطبعة الأولى، قم، ١٤٣٢ هـ .

* **نظام الحكم في الإسلام**، حسين المنتظري . مكتبة أهل البيت عليهم السلام الالكترونية ، الإصدار الثاني ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .

* **الوافية في أصول الفقه،** الفاضل التوني (ت ١٠٧١ هـ) . المحقق : محمد حسين الرضوي الكشميري، الناشر : مجمع الفكر الاسلامي ، المحققة الأولى ، قم، ١٤١٢ هـ .

* **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ،** محمد بن الحسن الحر العاملي ، (ت ١١٠٤ ه) . تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، ١٤١٤ ه .

* **وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول،** تقرير أبحاث السيد أبي الحسن الإصفهاني للميرزا حسن السيادتي السبزواري (ت ١٣٨٥ ه) . مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٩ هـ .

* **الهداية الكبرى ،** أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي ، (ت ٣٣٤ ه) . مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٤١١ ه – ١٩٩١ م .

الفهرس

المؤلفات المطبوعة للمؤلف

١. مستدرك الكافي .

٢. وكلاء الائمة في القرن الثاني الهجري .

٣. الأصبغ بن نُباتة المجاشعي .

٤. وكلاء الإمام الهادي (عليه السلام) .

المؤلفات غير المطبوعة

١. وكلاء الإمام الجواد (عليه السلام) .

٢. القرآن الكريم في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأحاديثه .

٣. الحديث الكوفي في القرن الثالث الهجري .

٤. المغيرة بن شعبة وحادثة البصرة .

٥. صيغ الاستغاثة بالنبي والمعصومين (صلوات الله عليهم) في الروايات الشريفة